تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس

نمط ممثل لمدرسة التأريخ المارونية التقليدية

رائف ليكي

—

رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في
بيروت لاتمام المطلوب للحصول على درجة استاذ في
الاداب ٠

بيروت — لبنان
اذار سنة ١٩٦٧

المحتويات

١ ــ مقدمة .	آ ــ ب
٢ ــ الحالة السياسية والاجتماعية في لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .	١ ــ ١٢
٣ ــ سيرة المطران يوسف الدبس .	١٣ ــ ٣٢
٤ ــ مميزات مدرسة التأريخ المارونية التقليدية .	٣٣ ــ ٥٢
٥ ــ عرض محتويات ونقد مصادر تاريخ سورية .	٥٣ ــ ٩٣
٦ ــ موقف الدبس من الامبراطورية العثمانية والقومية العربية .	٩٤ ــ ١١٥
٧ ــ فكرة سوريا ولبنان عند الدبس .	١١٦ ــ ١٣٢
٨ ــ خاتمة .	١٣٣ ــ ١٣٥
٩ ــ قائمة المصادر والمراجع .	١٣٦ ــ ١٥٠

١ — مقدمة

ان الغرض من هذه الدراسة هو تبيان موقف اصحاب مدرسة التأريخ المارونية التقليدية التي كان هدف اعضائها وشغلهم الشاغل التأكيد على اتحاد الموارنة بروما، والتشديد على ان بداية الاتحاد كانت منذ ان كان للموارنة وجود وان اعترف معظمهم ان عرى الاتحاد بين الكنيستين لم يتوثق حتى اجيال لاحقة • وقد اتخذت الدراسة المطران يوسف الدبس نمطا لانتا مثلا لهذه المدرسة ناطقا باسمها معبرا عن مشاعر افرادها واحاسيسهم تجاه القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية • ووجدت كتاب تاريخ سورية في اجزائه الثمانية خير ممثل لاراء الدبس ومفاهيمه •

تبتدئ الدراسة بمراجعة عامة موجزة للحالة السياسية والاجتماعية في لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتبين خصائص الطوائف اللبنانية ومميزاتها، وتنوه بالفوارق بينها، مظهرة تمايزها وتباينها •

اما الفصل الثاني فيقتصر على سيرة المطران الدبس، نشأته، وعلومه وتدرجه في مراتب الكهنوت ومؤلفاته واعماله ومنجزاته في شتى الحقول الاجتماعية •

اما الفصل الثالث فيبحث مميزات مدرسة التأريخ المارونية التقليدية التي كان الدبس من اشهر اعلامها، واحد دعائمها الثلاث وهم: المطران ابن القلاعي والبطريرك الدويهي والمطران الدبس نفسه • وقد عرفنا مميزات المدرسة كمجموعة مع ترجمة قصيرة لابن القلاعي والدويهي •

ويشتمل الفصل الرابع على عرض لمحتويات تاريخ سورية ونقد له • وحاولت في هذا الفصل تقييم الكتاب وعرضت لافكار الدبس وبحثت في ارائه • ويتناول هذا الفصل ايضا مقارنة بين اراء الدبس وافكاره وبين غيره من المصادر والمراجع التي استقى منها معلوماته واخذ عنها •

وحاولت في الفصل الخامس ان احلّ الدبس محلّه الصحيح في اطار التيار الفكري في القرن التاسع عشر . لهذا عرضت التيارات الفكرية والاراء السياسية الشائعة في اواخر القرن التاسع عشر في الامبراطورية العثمانية عامة وسوريا ولبنان خاصة ، مبينا اوجه الشبه والخلاف بينها ، ومظهرا تعلق الدبس بالتيار الاصلاحي المعتدل وتمسكه بوحدة الامبراطورية العثمانية .

وعرضت في الفصل السادس مفهوم سوريا ولبنان الجغرافي والسياسي عند الدبس . وخلصت الى تبيان معناهما المترابط والمتشابك ، حيث تقلصت سوريا في مفهوم الدبس وجماعته لتعني لبنان ، وتمدد لبنان في ذهنه وتوسع حتى شمل سوريا الجغرافية والطبيعية .

٢ ـ الحالة السياسية والاجتماعية في لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

عهد الامير بشير :

كان عهد الامير بشير الثاني الكبير (١٧٨٨ ـ ١٨٤٠) عهد المسيحيين الذهبي في لبنان . وقد بلغ هذا العهد اوجه مع حملة ابراهيم باشا الى سورية ولبنان وحكمه لهما (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) . ولا بد من الاقرار ان الامراء الشهابيين لم يكونوا يجهرون بدين رسمي واحد ، بل كانوا متلونين متقلبين غير معروفي الميول والاتجاهات الدينية ، فهم مسيحيون مع المسيحي ، مسلمون مع المسلم ، ودروز مع الدرزي .(١) وهذا ما جعل للقول المأثور " ان الشهابيين يولدون مسيحيين ، ويعيشون مسلمين ، ويموتون دروزا ".(٢) عبرة ومعنى .

ولكن الحال تغيرت مع احتلال ابراهيم باشا للديار الشامية خصوصا عندما توترت الحالة وتفاقمت بينه وبين اعيان الدروز ، فاستغل ابراهيم باشا حب المسيحيين تقديرا له لما منحهم من امتيازات وما اظهره نحوهم من عطف ، حتى انه اوعز للامير بشير بان يجهر بمسيحيته ويعلنها على الملاء .(٣)

---

١. M. Jeuplain , La Questien du Liban , Librairie Neuvelle ,Paris , I908 , P. I73 .

٢. F. Perrier , La Syrie Seus le Geuvernement de Mehmet Ali , jusqu'en I840 , Arthur Bertrand , Paris , P. 347 .

٣. D. Urquhart , The Lebanen , Velume I , Themas Cantley Newly , Lenden , I860 , P. I56 .

ولا تزال هذه المسألة موضوع جدال لم تحسم بعد .

وقد اثرت معاملة ابراهيم باشا المالئة للمسيحيين وموقف الامير بشير الموالي لهم ايما تأثير ليس على وضع الامارة وحسب ، وانما على مجرى العلاقات بين الموارنة والدروز .[١] فبينما نعم الموارنة بعز جديد وجاه حديث ، كان الدروز ساخطين حانقين على تطور الاحداث بهذا الشكل . وهذا شاهد عيان درزي لاحداث الفتن الدينية (١٨٤٠ ـ ١٨٦٠) ومشترك فيها يقول " كان الامير يعزز جانب الفئة المسيحية وجاهدا في توطيد دعائم النصرانية في البلاد ، فبذرت بذلك بذور الحسد وتأصلت في افئدتهم بذور البغض والمشاحنة ".[٢]

وفي رسالة من حفيد للشيخ ابو شقرا الى مجلة "اوراق لبنانية "نراه يتهم الامير بشير بأنه لم يعتنق الدين المسيحي وحسب ، بل حاول ايضا ان يقنع مشايخ الدروز بعمل الشيء نفسه .[٣]

وورد في مخطوط لمستشرق نمساوي زار لبنان في اوائل القرن التاسع عشر قوله "ان حكام لبنان على الحقيقة لا هم الدروز ولا الموارنة ، ولكن مع ذلك فزمام الحكم كله بيد الموارنة ، وذلك لان حاكم الوقت صار متحدا معهم بالديانة والطقس ايضا ، ثم ثانيا لان وزراء الحاكم او كواخيته هم دائما موارنة ، والحكم كله مقلد لهؤلاء الكواخين ، وهم الذين يعطون ويمضون ويحكمون بحسبما

---

١ . يوسف خطار ابو شقرا ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ، بيروت ، ١٩٥٢ ، ص ٢٥ . والمؤلف يسرد الحوادث نقلا عن جده الذي يروي الحوادث شفهيا لوالد المؤلف . ولا نقدر ان نركن كليا الى اقوال الراوي لان موقفه من الفتن الطائفية لم يكن حياديا ، بل كان من المشتركين في حوادثها .

٢ . المصدر ذاته ، ص ٢٦ .

٣ . ن . ن . ابو شقرا ، " شوبدنا بهدين الاكحل " اوراق لبنانية ، ج ٢ (تشرين ثاني ١٩٥٦) ص ٥٠٠ ـ ٥٠١ . ومن الصعب تصديق هذا الكلام فالامير بشير وان كان قد ابدى ميولا مسيحية فلا يعقل ان يزل به عقله للقيام بهذه المحاولة البعيدة عن المنطق .

يستحسن عندهم ، من دون ان حاكم الوقت يمانعهم بنوع من الانواع ".(١)

وقويت سلطة الامير بشير واستتب له الوضع عندما توفي احمد باشا الجزار والي عكا القوى سنة ١٨٠٤ وتوطدت علاقة الامير بشير بعبدالله باشا حاكم عكا الجديد ، فأخذ يبطش بالزعماء الاقطاعيين . ولما كان معظم رجال الاقطاع المتنفذين من الطائفة الدرزية ، اعتقد الناس ان حركة الاميربشير انما تهدف الى زعزعة النفوذ الدرزي ودك معالمه ، حيث قضى الامير على سلطة المشايخ النكديين والعماديين والتلاحقة بمساعدة الشيخ بشير جنبلاط الذي عاد الامير وقضى عليه هو بالذات وعلى سلطة عائلته .(٢)

واستغل الامير الوجود المصرى بقوته وسطوته ، نقضى القضاء المبرم على السلطة الاقطاعية الدرزية حيث قتل معظم اركانها وعذبهم ونفاهم .(٣) ومع القضاء على سلطة المشايخ الدروز برز على مسرح السياسة والمجتمع ظاهرة جديدة هي تحرر المزارعين المسيحيين في القرى والتجار في المدن من ربقة الاستعباد الاقطاعي .

---

١. الاب اغناطيوس الخورى ، "حكام جبل لبنان على الحقيقة ، لا دروز ولا موارنة" ، اوراق لبنانية ، ج ١ (١ تشرين اول ١٩٥٦) ص ٣٢٢ — ٣٢٣ . ويعرف الاب اغناطيوس المستشرق اندريا اوبرليتز بقوله ، "انه تضلع بلغة الضاد ، ووضع كتابا فصيح العبارة ، عالج فيه تاريخ لبنان . وقد طبع هذا الكتاب عربيا في فيينا سنة ١٨٢٣ ، واضاف اليه ملحقا في اربعة فصول على طريقة السؤال والجواب ، ضمنها معلومات خطيرة مجهولة عن عهد الامراء الشهابيين" (المصدر ذاته ، ص ٣٢٤) .

٢. رستم باز ، مذكرات رستم باز ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٥٥ ، ص ٨٧ . والمؤلف معاصر للامير بشير ورافقه في منفاه الى جزيرة مالطة واستنبول . والكتاب هو عبارة عن قصة حياة المؤلف يرويها على احفاده ، ونلمح فيها بعض التطرف ضد الامير بشير وهذا طبيعي متى علمنا ان الامير بشير قد بطش بمعظم اسرة باز وقتلهم .

٣. اسد رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤ — ١٨٤١ ، ج ١ ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٨ . انظر ايضا ، سليمان ابو عزالدين ، ابراهيم باشا في سوريا ، بيروت ، ١٩٢٩ ، ص ٤٦ .

نتائج سياسة الامير بشير واثرها :

١ — تفكك اواصر الوجود اللبناني بفئتيه المسيحية والدرزية اللذين كانا يؤلفان سويا مجتمع جبل لبنان وذلك بسبب موقف الموارنة ، وهم خبراء المسالك في الجبل المعروفين بشدة البأس ، في تفتيش القرى الدرزية بحثا عن السلاح وتعقب الفارين الدروز [1] وكان الامير خليل ابن الامير بشير على رأس الحملة التي جردت لمحاربة دروز وادى التيم .[2] كما وقف الاكليروس الماروني ببطريركه واساقفته وراء الحملة المصرية .[3] وهذه فقرة من رسالة من البطريرك يوسف حبيش الى المطارنة في حوالي ١ ايار سنة ١٨٣٢ يحثهم فيها على تجنيد رعاياهم لمساعدة الزحف المصرى :

" ايها الاخ المحترم

نخبر حضرتكم بان بتاريخه حضر لنا تحرير من جناب ولدنا يوحنا البحرى المحترم واصل لكم طيه صورته تتطلعون عليها في خير ، وحيث ان هذه الخدمات تقتضي تتميمها بما انها تأول لانشراح الخاطر الشريف ويحوز بها الجميع بياض الوجه نرغب في خوتكم ان تعلنوا ذلك لجميع اولادنا ابناء رعيتكم وتحثوهم ليسارعوا باجمعهم كلمن فيه الكفاية لهذه الخدمة الشريفة حسبما هو مدون بالتحرير المرقوم ...".[4] وفي رسالة اخرى وجهها البطريرك الى رعاياه يدعوهم فيها

---

١ . ابو شقرا يوسف ، الحركات في لبنان ، ص ١٥ . انظر ايضا ، الشيخ طنوس الشدياق ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، بيروت ، ١٨٥٩ ، ص ٨٥٧ .

٢ . ميخائيل الدمشقي ، تاريخ حوادث الشام ولبنان ١٨٧٢ — ١٨٤١ ، بيروت ، ١٩١٢ ، ص ١٠٠ — ١٠١ .

٣ . انطون كتفاكو ، فتوحات ابراهيم باشا المصرى في فلسطين ولبنان وسوريا (تعريب الخورى بولس قرألي) بيت شباب ، ١٩٣٧ ، ص ١٢ . وهذا الكتاب يحتوى على تقارير انطوان كتفاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا سنة ١٨٣١ — ١٨٤١ .

٤ . المصدر ذاته ، ص ١٤ . والمعروف ان حنا البحرى هو اول نصراني يعين مديرا للخزينة ، واول نصراني يحمل لقب بك ايضا . وقد كان من المقربين الى ابراهيم باشا ويتمتع لديه بحظوة عظيمة (فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، تعريب انيس فريحة ، دار فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٥١٣) .

الى التجنيد نراه يحثهم ، " ... واننا ننبه على جميع اولادنا ابناء رعيتنا بانهم حالا يسارعوا بأجمعهم من كل من فيه الكفاية لهذه الخدمة الشريفة من دون تأخير ولا توقيف ..."(١)

٢ — تبدل نظام المجتمع الطبقي وتغير ملامح الحكم في الجبل . ان الامير كان يحكم على جبل يسوده النظام الاقطاعي . فكان الامير او الشيخ سيد منطقته يتصرف فيها كما يشاء ويحكمها على هواه ويدين بالولاء الى الامير الكبير الذى كان بدوره يعترف بسلطة الباب العالي .(٢) ومع زوال حكم الامير بشير سنة ١٨٤٠ ، اصبح من الميسور ملاحظة فراغ سياسي شامل خصوصا في المقاطعات الجنوبية من الجبل . ولما عاد مشايخ الدروز المضطهدين والمنفيين ليحكموا ديارهم من جديد ، رأوا ان هذا بات مستحيلا فقد استحوذ الزعماء المسيحيون ووجهائهم على اراضي الزعماء الدروز واستأثر قادتهم بالزعامات الحديثة المدعومة بقوة مالية كانوا قد كسبوها من تجارة الحرير وغيرها .(٣) واصبح من الصعب جدا اذا لم يكن من المستحيل ارجاع الاوضاع الى ما كانت عليه قبل حكم الامير بشير . ولم يكن هناك مجال للتسوية ، فالزعماء المسيحيين متنعمين راغدين بما كسبوه حديثا من قوة وغنى وجاه ، والزعماء الدروز حانقين على زوال مجدهم وعلى سلطتهم المضمحلة . لهذه الاسباب اصبحت الانتفاضة المسلحة السبيل الوحيد لارجاع الاوضاع الى ما كانت عليه قبل الغزو المصرى ، والمخرج الاوحد مما كان يعتبره الدروز ظلما واجحافا بحقهم وتجاوزا على مصالحهم .(٤)

---

١ . المصدر ذاته ، ص ١٣ — ١٤ .

٢ . أ . ن . بولياك ، الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان (تعريب عاطف كرم) منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ١٦ .

٣ . K.S. Salibi , The Modern History of Lebanon , Weidenfeld and Nicolson , London , 1965 , P. 47 .

٤ . ابوشقرا يوسف ، الحركات في لبنان ، ص ٣٥ .

الحالة الاجتماعية :

كانت الطائفتان المارونية والدرزية تقطنان الجبل اللبناني . يزيد عدد الاولى في منطقة الشمال ويقل في الجنوب ، بينما يسيطر الدروز على المناطق الجنوبية من الجبل ويكاد ينعدم وجودهم في الشمال .(١) ولم تكن العلاقات بين الطائفتين رديئة في بادىء الامر بل كانا يعيشان في تفاهم وتصافي واخاء حتى عهد الامير بشير ومجيء الحملة المصرية سنة ١٨٣١ كما اوضحنا سابقا . وقد كان زعماء الطائفتين متضامنين متكاتفين امام العدو الخارجي او الخطر الداخلي .

ولطالما تآخى الفريقان وتضامنا ، ويشهد على ذلك مراقب غربي ، " ... ومن يظن ان الموارنة والدروز كانوا اعداء فهو مخطيء ، فهم كانوا على وفاق تام ".(٢)

ويخبرنا الكولونيل تشرشل وهو شاهد عيان معاصر لاحداث سنة ١٨٦٠ عن حالة الوئام التي كانت سائدة في لبنان بين الطائفتين ، "ازدهرت حالة المسيحيين بين الدروز لان هؤلاء يفضلونهم على ابناء جلدتهم لمهارتهم في الزراعة ، فأصبح معظمهم من ارباب الثراء ، واتخذ الدروز منهم المدربين ، واقاموا الاديرة وشيدوا الكنائس ".(٣)

---

١. حتي فيليب ، لبنان في التاريخ ، ص ٣١٤ .
٢. الموسيو بستلهوبر ، تقاليد فرنسا في لبنان (تعريب القس بولس عبود) مطبعة القديس بولس حريصا ، لبنان ، ١٩٢١ ، ص ٤٥ .
٣. C.C.H. Churchill , The Druzes and the Marenites under the Turkish Rule , I840 - I860 , Quaritch , Lenden , I862 , P. 26 .

والكولونيل تشرشل هذا هو انكليزي الاصل من اسرة مارلبورو الشهيرة . تزوج من اميرة شهابية واقام في شملان . اتقن العربية وتعود على العادات اللبنانية كتدخين الشبق ولبس العباءة . وقد تميز بنظرة ثاقبة وحدس عجيب في تقييمه للاحداث اللبنانية .ولكننا نلمح في تاريخه احيانا انحيازا سافرا للسياسة الانكليزية السائدة يومذاك .

ولكن روح الاخاء والمسالمة لم تصل نطاق الانصهار الوجودي في بوتقة واحدة ، بل بقيت كل طائفة محافظة على تقاليدها وعاداتها ، واقتصر تعاونها على النواحي السياسية والعسكرية ، ولم يتعداه الى النواحي الاجتماعية حيث "بقيت كل طائفة دينية جاهلة امر الطوائف الاخرى ومستقلة عنها ، فلا تتعدى صلات الجوار او القرية الواحدة نطاق العلاقات الطارئة او التعاون التجاري ".(١)

ولئن وجود هذا التعاون المشروط بقاء السلام والالفة بين الطائفتين ببقائه ، فزواله يعني الى حد كبير زوال اواصر الصداقة خصوصا وان العلاقات بينهما لم تشمل النواحي الحياتية الجوهرية الاخرى .(٢) لهذا فعندما ساعد الموارنة ابراهيم باشا وتعاونوا معه في القضاء على سلطة المشايخ الدروز ، بدأ عهد جديد بين الطائفتين ، وحل البغض والحقد والكراهية محل الوئام والسلام والمحبة .

اوجه الشبه والخلاف بين الطائفتين من الناحية الاجتماعية :

سكن الموارنة والدروز بلادا جبلية قاسية اثرت على طبيعتهم وطبعهم ، وجعلت منهم ثوارا ذوي بأس ، وولدت فيهم شعورا عصبيا شديدا ونزعة فردية طاغية .(٣) وتتشابه الطائفتان بكونهما مجتمعان يعيشان على الزراعة ، ولهما تقاليد اصيلة يحافظان عليها بشدة واصرار ، ويتمتع افرادهما بدهاء فطري وحذق سياسي ، وهذا ما جعلهما يعيشان بسلام كشريكين رئيسيين في حكم الجبل .(٤)

---

١. كمال صليبي ، "تعريف تاريخي بلبنان" ، الابحاث ، جزء ٣ (ايلول ١٩٦٢) ص ٣٦٨ .

٢. المصدر ذاته ، ص ٣٦٩ .

٣. المصدر ذاته ، ص ٣٧٨ .

٤. المصدر ذاته ، ص ٣٨٠ .

اما اوجه الخلاف فعديدة ايضا فبينما كان الدروز متماسكين متضامنين منضبطين يخضعون لزعمائهم خضوعا تاما ويسيرون تبعا لمشيئتهم ووفقا لاهوائهم ، نرى الموارنة على العكس من ذلك ، يفقدون هذه الرابطة العصبية وتنعدم عندهم روح الجماعة . فهم من اكثر الاقوام نزوعا الى الفردية الجامحة الخلاقة . لهذا انصرفوا الى الاعمال الجديدة ، واقبلوا على تعلم المبادئ المستوردة من الخارج والنظم الاتية من الغرب واقتبسوها بسهولة ، ونتيجة لذلك بزوّا الدروز في النواحي الثقافية والاقتصادية والادارية .(١)

حالة طوائف لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
نظام المتصرفية

نشأ في جبل لبنان في اعقاب الفتنة الاهلية الطائفية سنة ١٨٤٠ — ١٨٦٠ ، نظام جديد مستورد هو نظام المتصرفية .فكان يحكم الجبل اللبناني حاكم مسيحي كاثوليكي عثماني غير لبناني ، (٢) ويساعده في الحكم مجلس ادارة مكون من ١٢ عضوا هو اشبه بنواة مجلس النواب.(٣) ويعتمد المتصرف في الحكم على جهاز اداري فعّال مكون من موظفي الحكومة ورجال الدين ومختاري القرى وشيوخها . فأمن هذا النظام حكما لا مركزيا ، واعطى جبل لبنان استقلالا داخليا كبيرا ضمنته له الدول الكبرى .

وكانت الطائفتان المسيحية عامة (المارونية خاصة) والدرزية تقطن جبل لبنان . يتكاثر عدد الاولى في الشمال والثانية في الجنوب . اما باقي الطوائف كالسنية في شحيم وبرجا وغيرها ، والشيعة في جرود كسروان فكانت اقلية لا يحسب لها حساب .(٤)

---

١. Salibi,K., The Modern History of Lebanon ,P. XXIV

٢. H.Lammens,La Syrie,Vol. I.,Imprimerie Catholique,Beyreuth,1921,P.189.

٣. يوسف يزبك ، داوود عمون ، منشورات اوراق لبنانية ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٧٩ .

٤. حتي فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (ترجمة الدكتور كمال اليازجي) دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٣٢٦ .

اما الطوائف المسيحية الاخرى كالروم من متحدين وغير متحدين فكانوا متفرقين في الجبل .(١) لذلك كان الزعماء السياسيون والرؤساء الدينيون والوجهاء المحليون يقررون سياستهم آخذين هذه الحقيقة بعين الاعتبار . واضافة الى ذلك فان المسيحي في الجبل كان يشعر بانه سيد نفسه ، مستقل تمام الاستقلال في شؤون حياته الخاصة من مدنية ودينية ، وبعبارة اخرى كان يشعر بأن الجبل جبله وبأن النظام السياسي والاجتماعي السائد هو نظامه بالذات .(٢) ولعل هذا ما جعل الرحالة الاوروبي فولني الذى زار البلاد وتعلم لغة سكانها في اواسط القرن الثامن عشر يقول ، "ان الانسان في هذه البلاد يختلف عن أى امر اخر في السلطة العثمانية . اذ انه ينعم بالاطمئنان التام على نفسه وممتلكاته . ومع ان الفلاح في لبنان ليس بأغنى من الفلاح في مناطق اخرى من السلطنة فهو يعيش مطمئنا آمنا ولا يخشى ان يرسل الباشا او القائممقام او الحاكم عسكره ليخربوا ويسرقوا بيته او ليعتقلوه او لينزلوا به انواع العقاب . هذه الانواع من الظلم غير معروفة في الجبل ".(٣)

اما الامر في المدن اللبنانية الساحلية كطرابلس وبيروت وصيدا وصور فكان مختلفا تمام الاختلاف عنه في الجبل . فالاكثرية العددية هنا كانت اكثرية سنية تدين بدين الدولة الرسمي وتشعر تبعا لذلك بولاء مطلق وتخضع خضوعا تاما لاحكام الدولة وشريعتها .(٤) فبينما كان المسيحي يشعر بأنه ضعيف لا تربطه رابطة ولاء ولا تشده اواصر القوة والمناعة والوحدة مع الامبراطورية الكبيرة بل هو وحيد خاضع لسلطة دولة اكثريتها من دين غير دينه ،

---

١. Salibi ,K. , The Modern History of Lebanon , P. XXII.

٢. Joupmain , M. , Op. Cit. , P. 587 .

٣. M.C.F. Volney , Travels Through Syria and Egypt (Trans.) Vol .II., London , P.P. 66 - 67 .

٤. Zeine N. Zeine , Arab - Turkish Relations and the Emergences of Arab Nationalism , Khayat , Beirut , 1958 , P. 57 .

ولطالما كان يعتبر رجلا يعيش على هامش الوجود السياسي والاجتماعي وان لم يكن الاقتصادى . فهو مواطن من الدرجة الثانية لا يخضع للواجبات المفروضة على المسلم كالتجنيد الاجبارى وغيرها ولا يتمتع بالامتيازات الممنوحة للاكثرية .(١) وقد عبر مبشر انجيلي اميركي عن هذه الحالة ، "وكان يسمح لمسيحي المدن بالعيش طالما هم يدفعون الجزية . واذا ما شك باحدهم انه صاحب ثروة ، فسرعان ما كانت تنهب . ولم يكن يسمح للمسيحي حتى بامتطاء الحمار . ويحق له ارتداء اللون الاسود فقط . ولم يسمح له بامضاء اسمه باللغة العربية اعتقادا من السلطات انها انبل وارفع من ان يستعملها المسيحي . لذلك فهو يدون اسمه اما بالعبرانية او باليونانية . واذا ما لوحظ ان بيته يرتفع في العلو اكثر من بيت جاره المحمدى فسرعان ما يدك الى الحضيض . ولا يحق لنعش رجل مسيحي بالمرور من امام باب المسجد ...".(٢)

ومع مرور الزمن وبتأثير عوامل شتى تنوه بالاقتصادية منها خاصة نزح بعض موارنة الجبل الى السواحل لا سيما مدينة بيروت سعيا وراء الارتزاق والعيش ،(٣) وكونت الطائفة المارونية بعد حين نسبة عددية لا يستهان بها مع العلم بان حالتها الاقتصادية بالاجمال لم تكن تجارى ولا بأى شكل من الاشكال حالة غيرها من الطوائف كالروم والسنة.(٤)

اما طائفة الروم من متحدين وغير متحدين فكانوا اقلية في الجبل وتكاد اهميتهم تكون غير محسوسة . ونرى في هذه الطائفة ميلا الى الاستقرار والتجمع في المدن الساحلية ومعاطاة المهن والحرف . ومعظم افراد هذه الطائفة جاءوا من خارج الجبل كفلسطين وحوران وداخل سورية حيث ان الحياة الزراعية لم تستهوهم ما عدا اقلية من الروم الارثوذكس اشتغلت في الزراعة في منطقة الكورة في شمالي لبنان .(٥)

---

١. Perrier , Op. Cit., P. 108 .

٢. H.H. Jessup , Fifty - Three Years in Syria , Vol. I., Fleming H. Revell Company , London , 1910 , P.P. 159 - 160 .

٣. الاب لويس شيخو ، بيروت تاريخها واثارها ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٥ ، ص ٩٧ .

٤. Salibi , K., The Modern History of Lebanon , P. XXII

٥. Ibid ., P. XXIII

وتختلف حالة الروم عن حالة الموارنة في انهم لم يعيشوا ابدا في الجبال النائية بل في المدن وبين الطوائف الاسلامية ، وهذا ما اهلهم لاكتساب عادات وتقاليد مكنتهم من العيش في بحبوحة اقتصادية ورخاء مادى ، "ولا يزال الروم الارثوذكس والكاثوليك في لبنان يظهرون ما كان يتسم به اسلافهم الملكيون من سعة الحيلة والمقدرة على مسايرة مقتضى الحال ونظرا لكونهم لا يزالون يتفوقون في الميادين التي يكون فيها التدخل الحكومي على اقله ، فهم لذلك يعتبرون من انشط الطوائف اللبنانية اقتصاديا وثقافيا ".(١)

الطوائف الاسلامية

السنة :

يرجع نزوح السنة الى لبنان الى العصر المملوكي الذى اشتهر بتشدده ازاء الطوائف غير السنية . وتكاثر السنة وتفرقوا في سواحل لبنان وبعض داخله في عهد العثمانيين . وقد شاطر السنيون الملكيين في السيطرة على المرافق التجارية والمهنية في سواحل لبنان خصوصا في طرابلس وبيروت وصيدا .(٢) وكان المسلم السني يشعر بفخر وزهو ويتصرف بثقة واطمئنان ، فهو يعيش في امبراطورية مسلمة تدين بدينه وتدافع عن مصلحته . لهذا كان المسلمون السنيون من اخلص رعايا السلطان واكثرهم خضوعا له لما يتمتعون به من امتيازات فهم سكان البلاد واسيادها ولا ينازعهم على ذلك منازع .(٣)

---

١. صليبي كمال ، "تعريف تاريخي بلبنان" ، الابحاث ، ج ٣ (ايلول ١٩٦٢) ص ٣٦٩ .

٢. Salibi,K., The Modern History of Lebanon , P.P.XXIV - XXV .

٣. Ibid., P. XXV. See also , Zeine Zeine , Op. Cit.,P.P. I5 - I7 .

الشيعة :

واجه الشيعة خصمين عنيفين ابان نزوحهم الى لبنان وتم استقرارهم فيه ، وهما المسلمون السنة والمسيحيون الموارنة . اما عصر الشيعة الذهبي فكان عهد الفاطميين حيثما توسع الشيعة المعروفين بالاثنا عشرية نحو لبنان وسيطروا على معظم جبله ، باستثناء منطقة بشرى والبترون وجبيل في الشمال والتي كانت خاضعة لسلطة مقدمي الموارنة .(١) ولما بدأت السيطرة الفاطمية بالانحطاط والزوال ، اخذت السيطرة الشيعية تضعف وتتقلص . وما ان استتب الامر للايوبيين ثم للمماليك السنة حتى وجهوا الحملات الى المناطق الشيعية في لبنان وحاربوهم حربا لا هوادة فيها .(٢) فانهارت سلطة الشيعة وارتدوا عن معظم المناطق . واستمر تقلصهم نتيجة الضغط والاضطهاد بينما كان الموارنة والدروز يحلون محلهم . فانتقلت بعض جماعات الشيعة شمالا الى بلاد جبيل والبترون وبشرى ولكن موارنة تلك النواحي لم يرحبوا بالقادم الجديد بل شنوا عليهم حربا دامت قرابة الثلاثة قرون استطاع الموارنة في نهايتها على طرد المستوطنين الشيعة بمساعدة الامراء الشهابيين .(٣) فاقتصرت اماكن الشيعة على منطقة بعلبك وجبل عامل وصور بشكل عام . والمعروف عن الشيعة انهم اصحاب بأس وعصبية قبلية ومعظمهم من المزارعين ويتمتعون بدهاء سياسي وذكاء فطري مثل الدروز والموارنة ، ولكنهم يختلفون عنهم في انهم اصحاب دراية وحذر شديد . وهذه السياسة هي نتيجة حتمية لسلسلة من الاضطهاد والقمع التي عاناها الشيعة على ايدي اعدائهم .

---

١. صليبي كمال ، "تعريف تاريخي بلبنان" ، الابحاث ، ج ٣ (ايلول ١٩٦٢) ص ٣٦٩ .
٢. فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص ٣١٨ — ٣١٩ .
٣. راجع اصطفان الدويهي ، "تاريخ الازمنة" ، المشرق ، ج ٤٤ ، ص ١٦٠ — ١٦٤ . انظر ايضا ابن القلاعي ، حروب المقدمين ١٠٧٥ — ١٤٥٠ (نشره بولس قرألي) بيت شباب ، ١٩٣٧ . انظر ايضا الشيخ انطونيوس ابي خاطر العينطوريني ، مختصر تاريخ جبل لبنان (نشره الاب اغناطيوس الخوري) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ١٢٥ .

٣ — سيرة المطران يوسف الدبس

نشأة الدبس :

ولد يوسف الدبس في ٨ تشرين اول عام ١٨٣٣ في قرية من نواحي لبنان الشمالي او ما كانت تدعى في ذلك الحين بمقاطعة الزاوية.[١] ويمت الدبس الى اسرة وضيعة فقيرة انتقلت بعامل الضرورة من مدينة غزير الى قرية كفرزينا حيث كان ابوه يشتغل كعامل بسيط في مطحنة قريبة .[٢]

ولئن كان والد الدبس اميا لم يتعرف على الحرف وسيلة المعرفة من ناحية ، وكان بحاجة ماسة الى ايدى اولاده الاربعة يساعدونه في تدبير امور المعيشة من ناحية اخرى ، فهو تبعا لذلك لم يرحب بزيارة بولس موسى اسقف طرابلس الماروني الى قريته ، حيث رأى الاسقف في ملامح الولد يوسف ومضات من الذكاء الفطرى ونباهة وفراسة جعلته يصر على انتزاع يوسف من (مدرسة السنديانة)[٣] المحاذية للكنيسة ، والتي كان يوسف قد تعرف فيها على الحرف والف منظره ، شأنه شأن اولاد الضيعة الذين كانوا يترامون على احجار الكنيسة وينصتون بهدوء ووجل الى كاهن القرية (المعلم الاول في جبل لبنان)[٤] يلفظ الحروف

---

١. الشدياق طنوس، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ص١٠٢ — ١٠٣ .

٢. يوسف خطار غانم ، برنامج اخوية القديس مارون ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٣ ، ص٢٦ .

٣. وتعد من اولى المدارس في لبنان ، حيث كان كاهن القرية يجمع الاولاد في حلقة تشبه الصف المدرسي ، ويعلمهم المبادىء الاولية في القراءة والكتابة وبعض الحساب البسيط وقراءة الانجيل والاسفار المقدسة .

٤. كان الكهنة الموارنة اول من احتك بالغرب واخذ عنه الثقافة الحديثة وتعلم منه مبادىء المدنية الجديدة ، وذلك نظرا لذهاب العديد منهم الى روما وتخصصهم بالآداب والعلوم ، خصوصا بعد ان اسس لهم البابا غريغوريوس الثالث عشر " الكلية المارونية في روما " عام ١٥٨٤ (راجع كتاب حتي فيليب ، لبنان في التاريخ ص٤٨٧ — ٤٩٢) .

ثم يصورها ويلحقها بفقرات من انجيله المقدس .(١)

وتغيرت الحال على يوسف ابن الثانية عشرة في مدرسة عين ورقة الشهيرة (٢) عصرئذ والتي خرجت معظم اسياد الحروف وارباب العلم لقرابة القرن او القرنين في الجبل . وعلى مقاعدها تلقى يوسف مبادئ القراءة والكتابة وتعرف على دراسة المنطق واللاهوت والم بالقليل من اصول اللغتين الايطالية واللاتينية .(٣)

ونظرا للحوادث المتكررة التي وقعت في جبل لبنان بين مسيحييه ودروزه ، اضطر يوسف الى ترك المعهد المذكور سنة ١٨٥٠ والرجوع الى قريته المتواضعة في شمالـــي لبنان .(٤) ولكن طموحه من ناحية ، وما كسبه من معرفة من ناحية اخرى ، جعلاه ينزل الى طرابلس في السنة التالية ، ويلتحق بمعية الاسقف الماروني الذي اناط بالدبس ترجمة كتاب البدع ودحضها للقديس الفونس ليكوري ، فكان هذا الكتاب باكورة اعمال الدبس الادبيـــة والفلسفية .(٥)

---

١ . عبدالله البستاني ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، مطبعة جريدة المصباح ، بيروت ، ١٨٩٧ ، ص ٨ .

٢ . يوسف الدبس ، تاريخ سورية ، ج ٨ ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٩٠٥ ، ص ٦٠٤ — ٦٠٧ .

٣ . الشيخ سليم خطار الدحداح ، "الابرشيات المارونية وسلسلة اساقفتها" ، المشرق ، ج ٤ (١٩٠٤) ص ١١٠٤ — ١١٠٥ .

٤ . غانم يوسف ، برنامج اخوية القديس مارون ، ص ٢٧ .

٥ . سليم البستاني ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، بيروت ، ١٨٨٣ ، ص ٦٢٤ .

وعندما توفي البطريرك يوسف الخازن في سنة ١٨٥٤ والذى كان ينتمي الى عائلة من اقدم الاسر الاقطاعية المارونية واقواها (مشايخ ومقاطعجي بلاد كسروان) [١] خلفه المطران بولس مسعد [٢] (البطريرك الشعبي بعدئذ) الذى كان ينتمي الى الطبقة الوسطى ومن اسرة متواضعة .[٣] والجدير بالذكر ان اختيار البطريرك الماروني ذا المنصب الجبار والقوة العظيمة من الطبقة الوسطى ـ الدنيا ، اظهر الصراع الذى كان ما يزال خفيا في اوســـاط الاكليروس الماروني الى حيز العلانية وفجر مرجل النقمة بين الطبقة العليا (الاقطاعية) وبين الطبقتين الوسطى والدنيا .[٤]

ولما كان البطريرك الجديد ينتمي الى الطبقة الوسطى ، فمن الطبيعي ان يختار معاونيه وينتقي مستشاريه من طبقته ، لهذا نراه يلتفت التفاتة خاصة الى الدبس ويوليه مزيد الاهتمام والعطف ، فيعينه اولا معلما لصف تلامذة في مدرسة مار يوحنا مارون سنة ١٨٥٥ ، ثم يرقيه الى درجة الكهنوت حالما يصل الى البطريرك نفسه درع الرئاسة والتثبيت من روما .[٥]

---

١. بعد نفي الامير بشير الثالث في ١٣ كانون الاول سنة ١٨٤٠ وزوال الامارة الشهابية لم يعترف الخوازنة بأى امير او سلطة اعلى من سلطتهم ، بل كانوا يعتقدوا انهم احق من سواهم بحكم جبل لبنان ، راجع :

Salibi, K., <u>A Modern History of Lebanon</u> , P. 81 .

ولدرس اصل الخوازنة ونسبهم واماكن حكمهم راجع كتاب ، الشدياق طنوس ، <u>اخبار الاعيان في جبل لبنان</u> ، ص ٨٠ ـ ٨٦ .

٢. Churchill , <u>Op. Cit.</u>, P. 122 .

٣. غانم خطار ، <u>برنامج اخوية مار مارون</u> ، ص ٢٨١ .

٤. انطون ضاهر العقيقي ، <u>ثورة وفتنة في لبنان</u> (نشره وعلق على حواشيه يوسف ابراهيم يزبك) دمشق ، ١٩٣٨ ، ص ٢٠٨ .

٥. البستاني ، عبدالله ، <u>عرفان الجميل لصاحب اليوبيل</u> ، ص ٩ .

وانصرف الكاهن الدبس الى الترجمة والتأليف والتعليم بهمة ونشاط . كل ذلك والمقام البطريركي ينظر بأعجاب الى اعمال هذا الكاهن الطموح ونشاطه . ومع اطلالة عام ١٨٦٠ عين البطريرك مسعد الدبس كاتبا في كرسي البطريركية وامره بتنقيح بعض التآليف اللاهوتية والفلسفية الاجنبية وتبويبها وترجمتها . (١)

وعندما اراد البطريرك بولس مسعد السفر الى روما سنة ١٨٦٧ ، رأى من الحكمة ان يضم هذا الكاهن الشاب الى وفده ، فكانت هذه الرحلة فاتحة عهد جديد في حياة الدبس اذ فتحت امامه آفاقا جديدة وعرفته على معالم وحضارات غريبة ، واتاحت له فرصة التعرف على شخصيات مهمة كالبابا بيوس التاسع والامبراطور نابوليون الثالث والسلطان عبد العزيز وغيرهم من القادة والعظماء . (٢)

وعندما توفي طوبيا عون اسقف بيروت الماروني والمشهور بعلاقته الوثيقة بحوادث لبنان الطائفية (١٨٤٠ — ١٨٦٠) (٣) رقى البطريرك الكاهن الدبس الى درجة الاسقفية في ١٠ شباط سنة ١٨٧٢ وطلب من جميع الاساقفة الموارنة الموافقة على انتخابه اسقفا على بيروت . فنزل الاساقفة الموارنة عند طلب بطريركهم ، فتسلم الدبس مركزا لا يسبقه مكانة وخطورة وشأنا في التدرج الديني حتما والزمني الى حد كبير غير المقام البطريركي نفسه . (٤)

ومما لا يخفى ان مدينة بيروت عهد ذاك كانت محجا للادباء والعلماء ومركزا للبعثات التبشيرية الاجنبية ، يتقاطرون على مرفأها الذى اعتبر بحق واجهة الشرق الادنى وبابا يدخل منه الاجانب الى الشرق الاسلامي . (٥)

---

١ . البستاني عبد الله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٩ .
٢ . البستاني سليم ، " دائرة المعارف " ، ج ٧ ، ص ٦٢٥ .
٣ . العقيقي انطون ، ثورة وفتنة في لبنان ، ص ١٤ .
٤ . البستاني عبد الله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ١١ .
٥ . شيخو لويس ، بيروت تاريخها وآثارها ، ص ٩٦ — ٩٧ .

اعمال الدبس المطرانية

مواعظه :

لعل اول عمل استأثر بأهتمام الاسقف الجديد كان جمعه لافراد الطائفة واعيانها وجعلهم كتلة متراصة خلفه . ولا غروان في ذلك صوابا في عصر كانت تسوده روح البغضاء المذهبي والتنازع والتشاحن الطائفي . ولم يأل الدبس الى ذلك سبيلا . فبدأ اول ما بدأ ببث الخطب يدعو فيها الى وحدة الطائفة وتماسكها وتضامن افرادها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى دعا الدبس افراد الشعب بجميع فئاته ومذاهبه الى الاخاء والتسامح .(١) ومثالا على ذلك مواعظه الشهيرة التي القاها من على مذابح الكنائس ومنابر الساحات والاماكن العامة ، وأخصها بالذكر مواعظ سنين : ١٨٧٢ ، ١٨٧٣ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ . وكان يضيف اليها احيانا المناشير والرسائل الرعائية .(٢)

اقتنائه مطبعة :

ورأى الدبس من الضروري اقتناء مطبعة مستقلة بعيدة عن اى تأثير كان ، ليصبح باستطاعته هو وافراد رعيته طبع ما يرونه لصالح الطائفة وخيرها . فابتاع الدبس " المطبعة العمومية " بشراكة الوجيه رزق الله خضرا ، واقاماها اولا في اهدن ثم نقلاها الى بيروت.(٣) وقد ساعدت هذه المطبعة الطائفة عموما والدبس خصوصا في تسهيل اعمالهما وفرض وجودهما خاصة بعد ان كان اليسوعيون والانجيليون قد انشأوا مطابعهم منذ فترة من الزمن .(٤)

---

١ . الدبس يوسف ، مواعظ سيادة المطران يوسف الدبس ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٨٧٤ . ويتضمن الكتاب مجموعة خطب ومواعظ المطران الدبس .

٢ . البستاني سليم ، " دائرة المعارف " ، ج ٧ ، ص ٦٢٤ .

٣ . غانم يوسف ، برنامج اخوية مار مارون ، ص ٣٠ .

٤ . شيخو لويس ، الاداب العربية في القرن التاسع عشر ، ج ٢ ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٦ ، ص ٥ — ٦ .

وقد برهنت هذه المطبعة مرارا عن فائدة قيمة خصوصا في اصدار الجرائد ونشر الكتب التي الفها الدبس بنفسه او التي اشرف على تأليفها او ساعد في نشرها او تنقيحها ، او التي عنى بتبويبهـــا او ترجمتها .(١)

اصداره الجرائد :

عرف الشرق الجرائد مع مطلع القرن التاسع عشر ، عندما اصدر محمد علي باشا سنة ١٨٢٨ جريدته الرسمية "الوقائع المصرية" المطبوعة على مطبعة بولاق وهي من مخلفات التوسع العسكري النابوليوني والنهضة الفكرية الفرنسية الحديثة .(٢) اما اول جريدة عربية خاصة فهي "مرآة الاحوال" التي اصدرها في الاستانة رزق الله حسون الحلبي سنة ١٨٥٥ .(٣) ويعتبر فيليب حتي ان مولد الصحافة العربية كان ، "يوم صدرت في بيروت سنة ١٨٥٨ "حديقة الاخبار" لمؤسسها وصاحبها خليل الخوري من بلدة الشويفات".(٤)

وكانت الجريدة الوحيدة في البلاد لهذا استخدمها فؤاد باشا ناظر الخارجية العثمانية في نشر البيانات والتقارير ومختلف الشؤون التي لها علاقة بحوادث سنة ١٨٦٠ .(٥) وتوالى

---

١ . راجع مؤلفات الدبس من كتب وجرائد وترجمات ومقالات ورسائل وغيرها ، ترى ان معظمها قد طبع في هذه المطبعة .
٢ . الكونت فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ١ ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩١٣ ، ص٦ .
٣ . كمال اليازجي ، رواد النهضة الحديثة في لبنان الحديث ١٨٠٠ — ١٩٠٠ ، مكتبة رأس بيروت ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص١٣٢ .
٤ . حتي فيليب ، لبنان في التاريخ ، ص٥٦٥ .
٥ . المصدر ذاته ، ص٢٨ .

اصدار الجرائد والمجلات الادبية والسياسية والاجتماعية .[١] واخذت عيون الناس تتفتح وعقولهم تتحرر نتيجة قراءة اشياء جديدة ومدهشة ، وبدأ بذلك عصر التأثير الصحفي على الرأى العام العربي بوجه عام واللبناني والمصرى بشكل خاص .[٢]

ولم تكن هذه الظاهرة لتفوت الدبس ، فأصدر بعد عشرة سنين من اصدار " حديقة الاخبار " جريدته " النجاح "[٣] واتبعها سنة ١٨٧٥ بجريدة اخرى هي " المصباح " وعهد برئاسة تحريرهما الى الوجيه نقولا بك النقاش .[٤]

ومن الاهمية بمكان في هذا المجال تبيان بعض محتويات هاتين الجريدتين . لم يقصر الدبس اهتمامه على النواحي الدينية وحسب ، بل عالج على صفحات جريدتيه المشاكل الاجتماعية على انواعها ، اذ لم يكن هدف الدبس اظهار وجهة نظر وعرضها فقط بل فتح آفاق جديدة وشيقة ، وشرح بعض الظواهر الحديثة لابناء ملته الذين كانوا في معظمهم ، " لا يزالون يعيشون في حالة من الفطرة والسذاجة "،[٥] بعيدين عن تأثير الحضارة الاوروبية المزدهرة في القرن التاسع عشر ، وينقصهم اكثر ما ينقصهم العلم والثقافة . لهذا نلاحظ في الجريدتين نوعين من الخطابة واسلوبين من الكتابة . فمن ناحية كان الدبس وبعض الحديثي الثقافة من افراد الطائفة يدبجون

---

١ . من اراد مراجعة تاريخ الصحافة العربية والاستزادة حول الموضوع عليه مراجعة كتاب الكونت فيليب دى طرازى ، تاريخ الصحافة العربية ، الذى بلغ غاية الدقة والتفصيل في هذا الموضوع .

٢ . اليازجي كمال ، رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .

٣ . اغناطيوس الخورى كفرشحنا ، " تاريخ المطران يوسف الدبس " ، وثائق منقولة عن اصولها المحفوظة في خزانة المرحوم الخورى اسطفان الشعلاني . وهذه الوثائق مجموعة في كتاب لم ينشر بعد موجودة اليوم في دير عشيش للاباء الانطونيين في شمالي لبنان ، ص ٩ .

٤ . المصدر ذاته ، ص ١٦ .

٥ . الدبس يوسف ، مواعظ المطران يوسف الدبس ، ص ١٦٣ .

المقالات العلمية ويحللون الظواهر الاجتماعية تحليلا منطقيا على غرار "المدرسة المنطقية العلمية" التي ازدهرت في اوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.[١] ومن ناحية اخرى نرى الاسقف وجماعته يخاطبون في مقالاتهم الرأى العام باكثريته الجاهلة التي كانت ما تزال محرومة من نعمة الثقافة الحديثة.[٢]

ولعل هذا النقص الواضح في الثقافة والظاهر في نمط التفكير الذى سار عليه معظم افراد الشعب آنذاك هو ما حدا بالدبس للقيام بعملين خطيرين ، الاول كان له تأثير بينا والثاني ما يزال مخلدا للدبس اسمه حتى اليوم .

اصلاح الثقافة الكهنوتية وتطويرها :

لم يخف على الدبس ما كان لرجال الاكليروس من سلطة ومهابة على افراد الرعية ، وايقن ان في استطاعة رجل الدين ان يؤثر التأثير الكلي على عقول ابناء الملة ونمط تفكيرها . لذلك عني بتطوير السلك الكهنوتي وادخال بعض الاصلاحات والنظم الجديدة عليه.[٣] فاصدر امرا الى رجال الكهنوت في المدن والقرى وخصوصا الى اولئك الذين يعيشون في النواحي النائية والذين كانوا بحكم مركزهم بعيدين عن السواحل اى اكثرهم جهلا ، واقلهم علما ، وانقصهم ثقافة ، يدعوهم فيه الى الاجتماع مرة كل خمسة عشر يوما لمراجعة المذكرات اللاهوتية والتطارح في المسائل الدينية.[٤] ولما شعر الدبس بأن الوقت المحدد لا يكفي لاستيعاب ما يلزم استيعابه وفهم ما هو ضروري فهمه ، امر الكهنة بالاجتماع مدة ٤ ساعات كل اسبوع ، واسبوع كل سنة بشكل حلقة في دير من الاديرة حيث يتابعون البحث والنقاش.[٥] وطلب الدبس من الكهنة المدربين حديثا ان يتجولوا في المناطق اللبنانية ليعظوا اولاد الرعية ويرشدوهم.[٦] فكان لهذا العمل على

---

١. الاب اغناطيوس كفرشخنا ، "تاريخ المطران يوسف الدبس" ، ص ٩٧ .
٢. راجع كتاب الدبس يوسف ، مواعظ المطران يوسف الدبس ، فترى نوعين من الرسائل والمواعظ . النوع الاول والاوفر يخاطب فيه الرأى العام باكثريته الجاهلة ، بينما النوع الثاني يحتوى على نظرات علمية ويتضمن اراء فلسفية شائكة .
٣. البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ١٢ .
٤. المصدر ذاته ، ص ١٣ .
٥. المصدر ذاته ، ص ١٤ .
٦. المصدر ذاته ، ص ١٥ .

بساطته اهمية وفائدة خصوصا متى علمنا ان معظم الجبال والمناطق اللبنانية النائية كانت تفتقر الى المدارس على انواعها ودرجاتها · فكانت محاولة الدبس هذه محاولة جريئة اهميتها في وجودها اكثر مما هي في نتيجتها واثرها ·

تأسيس مدرسة الحكمة :

اما العطى الثاني والاهم فهو تأسيس الدبس لمدرسة من اهم المدارس عصرئذ واعظمها · شرع الدبس ببناء مدرسة الحكمة سنة ١٨٧٤ مستعينا على تشييدها بريع املاك الكرسي الاسقفي ومن ثمن بعض الاراضي والمشاريع الخاصة التي باعها لهذا الغرض ·[(١)] ولكن المعين الاول والاهم كانت بلاد اوروبا الكاثوليكية وخصوصا فرنسا حيث نشر الدبس رسالة ضمنها العبارات الودية اللطيفة طالبا مساعدة الكاثوليك لمشروعه موضحا بدقة ومنطق هدفه من انشائها ، وبيّن بطريقة لا موارية فيها ان سبب تأسيسه المدرسة هو ، "ان الطوائف الغير الكاثوليكية تذرعت بأنشاء المطابع والمدارس لزعزعة ايمان الشعب وصدهم عن الايمان القويم" ·[(٢)] لهذا

---

١ · غانم خطار ، برنامج اخوية مار مارون ، ص ٣٠ ·

٢ · البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٢٣ · وكانت هناك حرب ثقافية واعلامية بين اليسوعيين والكبوشيين والكرمليين واللعازاريين من جهة والمرسلين الانجيليين الاميركيين من جهة اخرى ، وقلما حاولت احدى هذه البعثات القيام بأي عمل الا وفعلت الاخرى مثلها · ويخبرنا دانيال بلس مؤسس الكلية الانجيلية السورية عن عدة حوادث وقعت للمبشرين وعن اضطهادهم من قبل مناوئيهم · ويعطينا مثالا على ذلك حادثة طرد السيد بنتون (Benten) وعائلته من زحله ، ويروي لنا قصة الضغط الذي تعرضت له خادمة السيد بنتون الخاصة التي هددتها عائلتها بالقتل ان هي شجعت او ساعدت في نشر التعليم البروتستانتي ، راجع كتاب :

(Daniel Bliss , The Reminiscences of Daniel Bliss , Fleming H.Revell Company , New York , 1920 , P.P. 124 - 125 .

ويهاجم المبشر الانجيلي هنري جيسب اعداء التبشير الانجيلي في لبنان ، ويؤكد ، "بأن البطريرك الماروني كان في بداية عهد التبشير الحديث العدو الظالم للنور ولكلمة الله · وكان يدعي بأنه مخولا السلطة للقبض على كل رجل يحاول قراءة =

رأى الدبس ان يحاربها بمثل سلاحها ، وقد لاقت دعوته صدى مستحبا وأذنا صاغية ، فانهالت عليه المساعدات والمعونات من اعيان اوروبا الكاثوليك واغنيائها ، فبدأ الدبس بتنفيذ مشروعه .(١)

ومن الطريف والغريب في آن واحد ، ان الدبس الذى حظى بتأييد الكاثوليك الاوروبيين ، وتقدير بطريركه ، وبركة الحبر الاعظم لمشروعه ، لاقى المحاربة من قبل بعض رجال الطائفة الدينيين والمدنيين الذين شكوا بنواياه وغاياته ، واخصهم بالذكر القاصد الرسولي بياني (Piavi) ، الذى ادعى ان مشروع الدبس انما قام لمحاربة مدرسة الاباء اليسوعيين (جامعة القديس يوسف) وليس لحصر نفوذ الانجيليين ومحاربتهم كما ادعى الاسقف الماروني .(٢)

ولكن الدبس لم يتراجع امام هذا الاتهام الغير المنتظر والغير المستحب ، بل زاده ذلك اصرارا وعزما ، ولفحه بقوة جديدة ليتم مشروعه . فنشر رسالة رعائية ندد فيها بزعم القاصد الرسولي الذى كان يعتبر نفسه اعلى سلطة دينية كاثوليكية في البلاد ،(٣) جاء فيها ، " ... ثم ان الاختبار قد بيّن ان لا منافسة بين هذه المدارس الكاثوليكية ، فأنني منذ افتتاح مدرستي ،

= الانجيل البروتستانتي او الانفصال عن الطائفة المارونية وسجنه وحتى قتله . وهو الذى قتل اسعد الشدياق سنة ١٨٢٩ اول شهيد بروتستانتي فيسوريا في العصر الحديث . اولئك الملوك الشرقيين (ويعني البطاركة الموارنة) هم طماعون ، سخفاء ، يشتغلون في المؤامرات السياسية ويشجعون اولاد رعيتهم على اضطهاد ابناء ملتهم . وسياستهم هي محاولة ابقاء اولاد الطائفة في جهل تام ، وعدم تعليم احدا منهم الا اولئك الذين ينوون دخول السلك الكهنوتي " .

(Jessup Henry , Op. Cit. , P. 158 .

١ . البستاني عبد الله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٢٤ .

٢ . الاب اغناطيوس كفرشخنا ، " تاريخ المطران يوسف الدبس " ، ص ١٦٠ .

٣ . المصدر ذاته ، ص ١٦١ .

ما منعت احدا من الكاثوليك من ارسال ولده الى اية مدرسة كاثوليكية غير مدرستي ولا زينت له او حرضته عليه ، بل كان كل جهدي ان امنع اولاد الكاثوليك من مدارس البروتستانت ، ولا يقصد ها الطلبة الكاثوليك فقط بل الروم والمسلمون والدروز والمتاولة واليهود ".(١)

وهنا لا بد من شرح حقيقتين ٠ الاولى حول موقف الدبس من القاصد الرسولي ، والثانية حول موقف سائر الطوائف اللبنانية من مدرسة اسقف بيروت الماروني ٠

خلاف الدبس والقاصد الرسولي :

يرجع خلاف الدبس والقاصد الرسولي زمنا ، واذا ما اردنا التحديد نرى ان منشأ الخلاف والنفور بدأ عندما توفي مطران بيروت الارثوذكسي سنة ١٨٧٤ ، فحضر الدبس وهو المطران الماروني مأتمه ورثاه بخطبة بليغة .(٢) فكان هذا العمل سابقة وطنية مستحسنة ولكن ليس بنظر الغلاة المتزمتين من ابناء طائفته الذين اشتكى بعضهم للقاصد الرسولي على تصرف الدبس غير المألوف .(٣) فأخذ القاصد الرسولي بيدهم وشجعهم واوصل شكواهم الى روما ٠ فظهر على اثر هذا الحادث صراع خفي ولكن مرير بين الرجلين لم يترك القاصد الرسولي فرصة مناسبة الا وحاول فيها الحط من قدر المطران الدبس والنيل من سمعته ، حتى انه لم يتوان عن اتهامه بالمروق عن قواعد الدين والخروج عن مذهب الكنيسة لانه تشارك بأقتناء

---

١٠ الاب اغناطيوس كفرشخنا ، "تاريخ المطران يوسف الدبس" ، ص ١٦٢

٢٠ المصدر ذاته ، ص ٢١ ٠

٣٠ المصدر ذاته ، ص ٢٢ ٠

مطبعة مع رجل مدني .(١)

موقف الطوائف اللبنانية من مدرسة الحكمة :

اما موقف سائر الطوائف اللبنانية من مدرسة الدبس فكان خير مشجع ومؤازر له . فلم تضم مدرسة الحكمة طلاب موارنة فقط ، بل كان هنالك تلامذة من مختلف الطوائف والنحل .(٢) ومن اساتذتها بعض علماء المسلمين كالشيخ يوسف الاسير وبعض اعيان الروم من عائلات مرموقة كأسرة التويني وطراد وغيرهم .(٣)

ولم يأل الاسقف جهدا لتحسين حالة مدرسته الحديثة ورفع شأنها واعلاء سمعتها ، فراح يشتغل ليلا نهارا ، واوفد الى باريس ثلاثة من رجال الكهنوت ليتعلموا اصول التعليم والادارة ، ويتضلعوا بالعلوم ، ويتخصصوا باللغات .(٤) فسطع اسم هذه المؤسسة واعتبرت من افضل المؤسسات العلمية الوطنية . ولا تزال حتى اليوم مدرسة ثانوية ذات شأن .(٥)

---

١. المصدر ذاته ، ص٢٣ . ومما يلاحظ ان الدبس مع تعلقه الدائم والتام بالكنيسة الكاثوليكية وما يعتقده من الاتحاد المطلق غير المنفصل في التاريخ بين الكنيستين الكاثوليكية والمارونية ، والاعتراف الكلي بسلطة البابا كما هو مبين في كتابه ، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٩٠٥ ، ص٣٠ ، وخاصة في كتابه ، روح الردود ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٨٧١ ، ص٦٠ — ٦١ ، فهو لم يقبل بالسيطرة الكاثوليكية المحلية الممثلة بشخص القاصد الرسولي الذى كان يعتبر نفسه اعلى سلطة كاثوليكية في البلاد . ومن مراجعتي لفهارس الكتاب والمقالات في مجلة "المشرق" التي يشرف عليها الاباء اليسوعيون بين سنين ١٨٩٤ — ١٩٠٧ ، اى عندما كان الدبس في اوجه الفكرى والادبي ، تبين لي ان الدبس لم يكتب فيها حرفا واحدا طيلة هذه المدة مع ان هذه المجلة كانت تعتبر من افضل المجلات العربية واوسعها انتشارا ، بل على العكس من ذلك نأن محررى المجلة انتقدوا تاريخ سورية عندما ظهر على اساس انه لم يتضمن مراجعة تاريخية وافية لعمل الارساليات الكاثوليكية الاوروبية في سوريا (المشرق ، ج ٨ (١٩٠٥) ص٦٧٣) .
٢. المصدر ذاته ، ص٤٣ .
٣. المصدر ذاته ، ص٤٥ — ٤٨ . وفي المخطوطة لائحة باسماء الاساتذة والتلامذة من سنة ١٨٧٤ اى سنة تأسيس المدرسة حتى سنة وفاة مؤسسها عام ١٩٠٧ .
٤. البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص٢٤ — ٢٥ .
٥. اليوبيل الذهبي لمدرسة الحكمة ، معهد الحكمة ، بيروت (لا . ت) ص١٢١ — ١٢٣ .

تأسيس الدبس لمدرسة نسائية :

لم يكتف الدبس بتأسيس مدرسة وطنية للذكور ، بل كان يرى في المرأة الجاهلة خطرا على المجتمع والاسرة . فالمرأة هي عماد الاسرة وعلى يديها يخلق الجيل الجديد . وكان المعلم بطرس البستاني اول من دعا في لبنان الى العناية بتعليم المرأة وتحريرها . (١) ولقيت دعوة البستاني اذنا صاغية لدى الدبس الذى اسس مدرسة التقدم سنة ١٨٩٤ . (٢) وكان هدفه من تأسيس المدرسة تعليم الفتيات وتزويدهن بالمعارف اللازمة وتدريبهن على شؤون المنزل وغيرها من العلوم النسائية . (٣) واناط التعليم فيها لراهبات افرنسيات ولبعض المعلمات المتخرجات من بنات الوطن . (٤) وقد لاقت هذه المدرسة رواجا واستحسانا ، فأمتها النساء يدرسن فيها العلوم واللغات والفنون الجميلة والخياطة . (٥) وتكمن اهمية عمل الاسقف في كونه حافزا وسابقة حثت غيره من ابناء الطائفة والوطن على الاقتداء به .

مؤلفاته :

يعد الدبس من اغزر المؤلفين اللبنانيين انتاجا في القرن التاسع عشر ومن اكثرهم انصبابا على الكتابة والانقطاع الى البحث وجمع المعلومات . (٦) ولم يقتصر نشاط الدبس على التأليف فقط بل كان يترجم بعض الكتب الاجنبية الدينية ويرئس حلقة من الاساتذة والعلماء ورجال الدين الذين كانوا بدورهم منصرفين الى الترجمة وجمع المعلومات والمخطوطات . (٧)

---

١. محمد جميل بيهم ، المرأة في التاريخ والشرائع ، بيروت ، ١٩٢١ ، ص ٢٢٩ . انظر ايضا بطرس البستاني ، خطبة في آداب العرب ، بيروت (لا . ت) ص ٢٧ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٢٣٠ .
٣. البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٤٢ .
٤. المصدر ذاته ، ص ٤٣ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٤٤ .
٦. البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص ٦٢٤ .
٧. غانم يوسف ، برنامج اخوية القديس مارون ، ص ٣١ .

وجملة الكتب التي الفها الدبس وترجمها اثنان وعشرون كتابا والتي نقحها وطبعها ثلاثة عشر كتابا ، فالمجموع خمسة وثلاثون كتابا معظمها ديني يبحث في امور دينية .(١)

وسأستعرض بلمحات موجزة اهم تآليف وترجمات المطران الدبس :

— اول عمل قام به الدبس في هذا الحقل وهو لا يزال كاهنا ترجمته في كرسي ابرشية طرابلس كتاب تاريخ الهرطقات للقديس الفونس ليكوري . وهو كتاب ضخم يتضمن كل ما نشاء في الكنيسة من البدع المختلفة وتواريخ منشئيها وآراءهم الملتوية وكيفية دحضها والرد عليها وما انعقد من المجامع لابطالها . وقد طبعه سنة ١٨٥٤ في مطبعة دير طاميش للرهبان والحق به جدولا بأسماء الباباوات وتاريخ جلوسهم ووفاتهم .(٢)

— وخلال فترة تعليمه بمدرسة مار يوحنا مارون ترجم الرسوم الفلسفية عن اللغة اللاتينية للاب لويس دموفسكي ، وهو كتاب يتضمن دروس وابحاث في علم المنطق وعلم الكائنات وعلم النفس واللاهوت .(٣)

— ترجم خلال اقامته في مدرسة مار مارون ايضا كتاب الدروس اللاهوتية للاب يوحنا بروتي اليسوعي من اللاتينية الى العربية . ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة مجلدات كبيرة تبحث في عقائد الدين المسيحي واثباتها ورد الاعتراضات عليها وتفنيدها . طبع هذا الكتاب في المطبعة العمومية خاصة المترجم الدبس .(٤)

---

١ . غانم يوسف ، برنامج اخوية القديس مارون ، ص ٣١ .

٢ . البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٤٣ .

٣ . البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص ٦٢٥ .

٤ . المصدر ذاته ، ص ٦٢٥ .

— وفي مدة اقامته كاتبا وامينا للديوان البطريركي ، ترجم الدبس من اللاتينية الى العربية كتاب الرسوم القانونية او الناموس الكنسي ليوحنا ديفوني .(١)

— والف الدبس خلال اقامته في الصرح البطريركي كتاب تحفة الجيل في تفسير الاناجيل ، ويحتوى على تفسير البشائر الانجيلية الاربع ، مع مقدمة وتعليق . طبع في المطبعة العمومية مرتين ، الاولى عام ١٨٦٨ ، والثانية عام ١٨٧٨ .(٢)

— ومن اشهر تآليفه في هذه المدة كتابه المسمى ، سفر الاخبار في سفر الاحبار . وهو كتاب يشتمل على وصف معظم البلاد والمدن التي عرج عليها المؤلف ابان سفره الى روما عام ١٨٦٧ بمعية البطريرك بولس مسعد وتاريخها .(٣) وفي الكتاب ثلاث نبذات او فصول تبحث في تواريخ الرومان والبيزنطيين والسلاطين العثمانيين . وفي الملحق وصفا للاحتفالات التي جرت وتتئذ في روما ، وزيارات البطريرك المهمة ، وشتات من الاخبار والطرائف . طبع الكتاب في المطبعة العمومية سنة ١٨٦٨ .(٤)

— ومن مصنفات الدبس ايضا كتاب مربي الصغار ومرقي الكبار ، تناول فيه المؤلف شرح ما على الانسان من واجبات وفروض نحو خالقه وبني جنسه . ويحتوى الكتاب بعض اقوال الفلاسفة والحكماء العظام . طبع في المطبعة العمومية عام ١٨٨٩ .(٥)

— وللدبس ايضا مجموعة خطب ومواعظ ورسائل رعائية تقع في ثلاثة اقسام . طبع الاول منها سنة ١٨٧٣ وتشمل خطبة ومواعظه ورسائله الرعائية في السنة الاولى لاسقفيته . ويشتمل القسم الثاني على مواعظه وبعض رسائله الرعائية في سنتي ١٨٧٣ و ١٨٧٤ وطبع في سنة ١٨٧٤ . والثالث يحتوى على بعض خطبه ورسائله عام ١٨٧٥ وطبع عام ١٨٨٠ .(٦)

---

١ . البستاني عبد الله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٤٤ .
٢ . غانم يوسف ، برنامج اخوية مار مارون ، ص ٢٨ .
٣ . البستاني سليم ، دائرة المعارف ، ج ٧ ، ص ٦٢٦ .
٤ . غانم يوسف ، برنامج اخوية مار مارون ، ص ٢٨ .
٥ . المصدر ذاته ، ص ٢٩ .
٦ . البستاني عبد الله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٤٧ .

— ومن جملة تآليف الدبس ايضا كتاب في الصرف والنحو سماه مغني المتعلم عن المعلم .(١) ويشرح هذا الكتاب في قواعد اللغة العربية وفي مبادىء الصرف والنحو . طبع في المطبعة العمومية عدة مرات اولاها سنة ١٨٦٩ . وللكتاب ثلاثة ملاحق ، اولها يتضمن اسئلة تعين على تذكر القواعد والثاني والثالث تشرح فن التمرين على طريقة القواعد الاجنبية .(٢)

— ومن مؤلفاته التي طبعها في مطبعته ايضا كتاب اللاهوت الادبي للعلامة غوري اليسوعي . وتكمن اهمية هذا الكتاب في لونه الاكمل والافضل وان لم يكن الاول من نوعه في اللغة العربية (٣)

— ورأى الدبس من واجبه كأسقف ماروني المدافعة عن الايمان الكاثوليكي في عصر اشتدت فيه الخلافات الدينية والمذهبية بين الطوائف المسيحية . فألف كتابين اولهما ، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٩٠٥ . وهو تاريخ للطائفة المارونية يبحث في اصلها ، نشأتها ، اضطهادها ، وايمانها . ويشدد المطران في كتابه اكثر ما يشدد على تبيان تعلق الموارنة بايمانهم القويم وتعلقهم الدائم المستمر بالكرسي الرسولي في روما .(٤)

— وثانيهما كتاب روح الردود ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٨٧١ . ويدافع فيه الدبس عن الايمان الكاثوليكي ايضا ، ويبرهن عن تعلق الموارنة بالكثلكة ويبين ذلك بالحجج والادلة ويورد شهادات العظماء والبطاركة والاحبار ، ثم يفند روايات من يعتقد ان الموارنة لم يكونوا متحدين مع روما منذ البداية ومزاعمهم .(٥)

— ومن اهم مؤلفاته على الاطلاق كتاب تاريخ سورية ، ٨ اجزاء ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٨٩٣ — ١٩٠٥ .

---

١. البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص ٦٢٥ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٦٢٦ .
٣. غانم يوسف ، برنامج اخوية مارمارون ، ص ٣١ .
٤. المصدر ذاته ، ص ٣٣ . انظر ايضا البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص ٦٢٥ .
٥. البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص ٦٢٥ .

ويتناول الكتاب تاريخ سورية بمعناها الجغرافي والتاريخي منذ الخليقة حتى اواخر القرن التاسع عشر ، ويقسم هذا التاريخ الى قسمين :

١ — تاريخ ديني يتناول تاريخ الديانات ويعدد المذاهب ويشرح البدع ويبحث في المجامع التي قامت من اجل الكنيسة وضدها • ويعدد اسماء البطاركة والاساقفة الشرقيين وخاصة السوريين ويورد بعض اعمالهم .(١)

٢ — تاريخ زمني ، يبحث الدبس فيه ويدون اهم الاحداث • ويشرح انظمة الحكم وطريقة معالجتها للشؤون السورية عامة واللبنانية خاصة منذ الخليقة حتى اواخر القرن التاسع عشر • ويسير على ذلك تبعا للتدرج الزمني ويتناول سيرة الرجال العظام من علماء وادباء وقواد واشراف .(٢)

اتقان الدبس فن الخط المختصر واستعماله الالة الكاتبة :

ومن اهم اعمال الدبس ايضا استعماله الالة الكاتبة وتعلمه فن الخط المختصر (Shorthand) ، فكان بذلك اول من فعل ذلك من اللبنانيين .(٣) ولا تكمن اهمية هذا العمل في كونه سابقة بحد ذاتها وحسب ، وانما بتأثيرها ونتيجتها • فقد علم الدبس بعض الشبان طريقة الكتابة المختصرة ، وكان احدهم يدون بها وقائع مجلس المحاكمة الكبير في عهد المتصرف فرنكو باشا ثاني متصرفي جبل لبنان .(٤)

ونختم باب التاليف والترجمة بكلمة للبستاني صاحب "دائرة المعارف" في الدبس ، "... ومن طالع تأليفاته وامعن النظر في خطبه يرى انه تحرى مجرد الافادة ، مبتعدا عن بهرجة الالفاظ وتزويق العبارات على غير طائل ، بل جعل ما يتقصده من ذلك ايصال المعاني الى الافهام من اسهل طرق الكلام".(٥)

١• البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص٦٢٦ •
٢• البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص٤٧ — ٤٨ •
٣• الاب اغناطيوس كرشخنا ، "تاريخ المطران يوسف الدبس" ، ص٥٣ •
٤• البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص٦٢٦ •
٥• المصدر ذاته ، ص٦٢٦ •

اهتمامه بالاخويات :

ولما رأى اسقف بيروت الماروني تشتت اولاد الطائفة وانصراف معظمهم الى العناية والاهتمام بالشؤون الحياتية المادية والاقتصار عليها ، حاول ان يجمع شتاتهم وينفخ فيهم روح الالفة والاجتماع سويا . فأنشأت بمعونته وادارته اخويات عديدة "كأخوية الحبل بلا دنس" ، "واخوية طوبيا البار لدفن الموتى" ، "واخوية القديس يوسف" ، "واخوية الانفس المطهرية" ، "واخوية القديس مارون" وغيرها .(١) وقد انصرفت هذه الاخويات الى العناية بأولاد الرعية وتعليمهم مبادئ الدين المسيحي ومحاولة مساعدة المحتاجين بالمعونات والخدمات .(٢)

الدائرة العلمية :

اسس الدبس بمعونة بعض اساتذة مدرسة الحكمة جمعية دعيت "بالدائرة العلمية" غايتها نشر المعارف وصبغ العلوم الاجتماعية والعلمية وطبعها بطابع ديني .(٣) وكان الدبس يطبع في مطبعته وعلى نفقته الخاصة ما يتلوه الاعضاء من خطب ورسائل . وبرهنت هذه الجمعية عن فائدة جمة في نشر العلوم وتعميمها .(٤)

مشاريعه العمرانية :

وفي عهد الدبس شيدت اكثر كنائس الطائفة المارونية في بيروت .(٥) ولعل اروع انجازاته العمرانية على الاطلاق هي كاتدرائية القديس جرجس في بيروت التي شرع ببنأها سنة ١٨٨٥ ولم ينتهي منها حتى عام ١٨٩٤ وكلفت قرابة المليوني قرش .(٦) وتعد هذه الكنيسة من افخم كنائس المشرق واروعها . وبنى الدبس ايضا كنيستي القديس مارون والقديس

---

١. غانم يوسف ، برنامج اخوية مار مارون ، ص ٣٥ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٣٦ .
٣. الاب اغناطيوس كفرشخنا ، "تاريخ المطران يوسف الدبس" ، ص ١٦٥ .
٤. البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص ٦٢٦ .
٥. غانم يوسف ، برنامج اخوية ما مارون ، ص ٣٢ .
٦. المصدر ذاته ، ص ٣٢ .

ميخائيل في بيروت ، وغيرها في الضواحي مما لا مجال لذكره في هذا البحث .

مركز الدبس واسفاره :

وقد سطع اسم الدبس واصبح اسمه على كل شفة ولسان نتيجة مشاريعه العمرانية واعماله الدينية ونشاطاته الثقافية . ومنحه السلطان عبد الحميد ثلاثة وسامات واصبح كرسي اسقفية بيروت المارونية مرجعا دينيا مهما ومركزا ادبيا مرموقا . (١)

ولم ينهج الدبس على غرار سلفائه من الاساقفة وذلك بالقبوع في مراكزهم وعدم مبارحتها الا لماما . فالدبس وهو الرجل المثقف الواسع الاطلاع ، رأى من الضرورة ان يتنقل ويسافر ليتكسب ويتعلم جديد اوروبا المسيحية وينقله الى الشرق المنفتح حديثا على ثقافة الغرب . لهذا لم يترك الاسقف مناسبة تفوته حتى اصبح بمثابة رحالة متجول ، وتعدت رحلاته الى اوروبا الست او السبع كان يعود على اثرها حاملا معه افكارا جديدة ومشاريع قيمة . (٢)

يوبيل الدبس :

ولئن حورب الدبس وشكك في اهمية مشاريعه وفائدتها من قبل بعض المتنفذين من رجال الدين والدنيا ، فقد ظل معظم افراد الطائفة ملتفين حول اسقفهم . لذلك انتخب وجهاء الطائفة واعيانها لجنة مؤلفة من سادة القوم واناطوا بها تدبير حفلة اليوبيل التي قورت عام ١٨٩٧ نظرا لاتمام الدبس سنته الخامسة والعشرين في خدمة ابرشية بيروت المارونية . (٣) فكانت تلك الحفلة خير دليل على محبة افراد الطائفة وتقديرهم لشخص اسقفهم . (٤)

---

١ . البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص٦٣ .
٢ . البستاني سليم ، "دائرة المعارف" ، ج ٧ ، ص٦٢٥ .
٣ . البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص٨٠ — ٨١ .
٤ . المصدر ذاته ، ص١٠٣ . وفي الكتاب مجموعة من القصائد والخطب والمقالات للادباء الذين اشتركوا في حفلة اليوبيل ، ويضم ايضا مقتطفات من اقوال الصحف التي وصفت حفلة اليوبيل .

وفاته :

قضى الدبس نحبه في ٧ تشرين اول سنة ١٩٠٧ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين قضاها في خدمة الطائفة والوطن . وقد خلد الدبس اسمه في ما انجزه من مشاريع وما خلفه من موءلفات ، فكان الدبس" مثالا للحيوية والنشاط وانموذجا للهمة والعمل". (١)

---

١ . جرجي زيدان ، "المطران يوسف الدبس" ، الهلال ، ج ١٦ (اكتوبر ١٩٠٧) ص ١٦٥ — ١٦٦ .

٤ - ميزات التأريخ الماروني التقليدي

يعتقد مؤرخ الادب العربي المسيحي الدكتور جورج غراف بأن علم التاريخ عند الموارنة بدأ في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وبالخصوص مع المطران ابن القلاعي .(١) ولكن هذا لا ينفي وجود لمحات تاريخية كتبت قبل القرن السادس عشر ، الاول ، هو تاريخ كسي ليوحنا الراهب الماروني ، والثاني ، تاريخ دير ما شليطا مكبس في كسروان كتبه تادرس مطران حماه الماروني .(٢) ولكن مؤلفات ابن القلاعي هي الوحيدة التي ما زالت قيد الوجود حتى اليوم .(٣)

ويعزو كمال صليبي السبب في ذلك الى محاولة الكنيسة المارونية القوية في القرن الخامس عشر طمس مؤلفات الموارنة قبل هذا القرن نظرا لاحتواء بعضها او اكثرها على معلومات تظهر اختلاف الموارنة وتبين انشقاقهم عن روما .(٤)

---

١. George Graf , Geschichte Der Christbichen Arabischen Literatur , Vol . III , Vatican City , 1949 , P. 299 .

ويعد كتاب جورج غراف وهو في خمسة اجزاء طبعت ما بين سنين ١٩٢٤ - ١٩٥٣ ، نتيجة عمل مضني قضاه في التنقل والبحث خصوصا في مكتبة الفاتيكان وفي الكتاب اسماء جميع مؤلفات الكتّاب المسيحيين العرب المطبوعة وغير المطبوعة .وحاول المؤلف ايضا نقد بعض المؤلفات المهمة ولكن نقده ظهر ضعيفا وناقصا احيانا . واهمية كتابه تكمن في كونه الاول والاشمل من نوعه والاكثر تعمقا في البحث والتفتيش حيث احتوى معظم مؤلفات الكتاب المسيحيين العرب .

٢. Ibid . , Vol. II , P. IOI .

٣. Salibi ,K., Maronite Historians of Medieval Lebanon , A.U.B. , Beirut , 1959 , P. I7 .

٤. Salibi, K., " The Traditional Historiography of the Maronites " , Historians of the Middle East , ed. Bernard Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, London ,1962 , P. 2I5 .

ويعتبر الدكتور صليبي ان سبب بداية التأريخ وانتشاره عند الموارنة يرجع الى ظهور الروح القومية او الوطنية عند هذه الطائفة .(١) ويرجع السبب في ذلك الى وضع الطائفة الجغرافي . فالموارنة الذين كان ينحصر وجودهم في بادئ الامر في شمالي لبنان لم يخضعوا يوما خضوعا مباشرا للحكم الاسلامي الى الدرجة التي بلغها خضوع غيرهم من الطوائف المسيحية الاخرى.(٢) وفوق ذلك كانوا يفخرون بأنهم وهم من اقل الطوائف المسيحية الشرقية عددا ، قد استطاعوا ان يقيموا علاقات حميمة وجيدة مع روما ويتحدوا معها بعدئذ .(٣)

اما سبب ازدهار التأريخ عند اللبنانيين فيعزوه البرت حوراني الى سببين .(٤)

— ظهور فئة متعلمة متضلعة باللغة العربية ومتفتحة على الحضارة والثقافة الغربية الحديثة .

— وجود هدف محدد ، اذ لم يكن هدف المؤرخين اللبنانيين تفسير ظاهرة تاريخية وتحليل اسبابها وتخمين نتائجها ، بل الدفاع عن نقطة وهدف معين .

ويعتقد الاستاذ حوراني ايضا ان اول جماعة من المؤرخين اللبنانيين المحدثين كانوا من الموارنة وغيرهم من المسيحيين الشرقيين المتحدين مع روما والذين تعلموا وتخرجوا من معاهدها الاكليريكية .(٥) وكان هدف المؤرخين الموارنة (الذين كانوا باكثريتهم الساحقة

---

١. Salibi , K. , Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. I5 .

٢. Salibi , K. , Historians of the Middle East , P. 2I5 .

٣. Salibi , K. , Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. I5 .

٤. A.H.Hourani , " Historians of Lebanon " , Historians of the Middle East , P. 226 .

٥. Ibid. , P. 226 .

اكليريكيين) قبل القرن التاسع عشر ،[١] الدفاع عن الايمان الكاثوليكي بوجه الطوائف المسيحية الشرقية غير المتحدة مع روما كاليعاقبة والنساطرة وغيرهم ، والاصرار على ان الوحدة بين الموارنة وروما كانت منذ ان كان للموارنة وجود .[٢]

ولئن شدد المؤرخون الموارنة على وحدة طائفتهم الدينية واتحادها مع روما الكاثوليكية فقد حاولوا بالعزم والقوة نفسيهما اثبات استقلال طائفتهم في الامور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحياتية الاخرى ، وبمعنى اخر حاولوا ان ينشئوا لطائفتهم كيانا مستقلا وان لم يكن تاما في شمالي لبنان .[٣]

ويجزم الدكتور صليبي بأن الموارنة كانوا خلال التاريخ في وضع دفاعي دائما ، سواء اكان ذلك من خلال وجودهم كمجتمع بشري او كطائفة دينية .[٤] ولعل اكثر ما يميز وضعهم الدفاعي كجماعة هو احباطهم محاولات جيرانهم المسلمين الدائمة ، الذين كانوا يبغون زوال استقلال الموارنة الداخلي . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، نشأ بين الموارنة وغيرهم من الطوائف المسيحية غير الكاثوليكية المنفصلة عن روما كاليعاقبة والروم الارثوذكس اضطهادات عنيفة خصوصا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ولم تكن هذه الاضطهادات بين هذه الطوائف اقل ضراوة وعنفا من معارك الموارنة والمسلمين .[٥] اما السبب فكان محاولة هذه الطوائف الغريبة عصرئذ سكن شمالي لبنان ومقاسمة الموارنة خيرات

---

١. Salibi , K. , Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. I7 .

٢. Harouni , A. , Op. Cit. , P. 227 .

٣. Ibid . , P. 226 .

٤. Salibi , K. , Historians of the Middle East , P. 2I5 .

٥. Hourani , A. , Op. Cit. , P. 227 .

والجدير بالذكر ان علاقة الموارنة بالطوائف المسيحية الشرقية غير المتحدة مع روما لم تكن بأفضل عن علاقتهم بالمسلمين . فقد اعتبر الموارنة اليعاقبة والنساطرة والروم غير المتحدين مع روما اعداء لهم من ناحيتين :

١ _ الاعتقاد المذهبي .

٢ _ المضاربة الحياتية ، حيث نزح اليعاقبة والروم الارثوذكس الى شمالي لبنان واستوطنوه . وقد كانت هذه الطوائف ارقى حالا من الموارنة من الناحية الثقافية والمادية .

ارضهم .(١)

اما هدف الكنيسة المارونية فكان الدفاع الدائم والمستمر عن وحدتها غير المنفصلة وغير المنقطعة مع روما . وفي محاولات المؤرخين الموارنة (اتباع المدرسة التقليدية) العديدة لتبيان وجهة نظرهم هذه ، اخطئوا حيث تبنوا التطرف في نظرياتهم ، اذ لم يعد همهم محصورا في اظهار وحدة كنيستهم واتحادها مع الكنيسة الرومانية فقط ، بل ارجاع تاريخ الوحدة والاتحاد حقبات من الزمن .(٢)

هذا النهج الدفاعي هو الذي اضفى على التأريخ عند الموارنة صبغة جدلية . فالمؤرخون الموارنة كانوا يكتبون دفاعا عن جماعتهم ، مشددين على اهمية وحدتها ، مفندين مزاعم غيرهم من الطوائف صحيحة كانت ام غير صحيحة . وفي معظم الاحيان لم يكن هدف هؤلاء المؤرخين كتابة التاريخ بقدر ما كان عرضا لوجهة نظر الكنيسة المارونية المتحدة مع روما والدفاع عنها . وقد سبب هذا النهج الدفاعي الجدلي انكماش المؤرخين الموارنة على انفسهم قبل القرن السابع عشر وانغلاقهم على تدوين حوادث الطائفة بوجه عام دون التطلع الى ما جاورهم .(٣) فمن جهة ، كانوا يعتبرون جماعتهم وحدة حياتية متكاملة ، ومن جهة اخرى ، كان الاعداء يحيطون بهم من جميع الجهات .

وان كان لهذا الانكماش والانعزال الجماعي فضل على تماسك الطائفة وترابطها ، فمن سيئاتهما ، اولا ، عدم الانفتاح على النقد ،(٤) وثانيا ، اعتماد المؤرخ على رواية من سبقه دون تدقيق او تحري عن مدى صدق الخبر وصحته . وهذا مرده الى اعتبار السلف خيرا من الخلف (٥) خاصة وان هدفهم جميعا كان واحدا ، وهو الدفاع عن تعلق الموارنة بالايمان

---

١. Salibi, K., Historians of the Middle East, P. 216 .

٢. Graf , Op. Cit., P. 505 .

٣. Salibi, K., Maronite Historians of Medieval Lebanon . P. 17 .

٤. Ibid . , P. 19 .

٥. Ibid . , P. 20 .

وهذا ما يجعلنا نرى بعض الاغلاط التاريخية مكررة في عدة مؤلفات اذ كان المؤرخ =

الكاثوليكي والبرهان على عدم انفصالهم يوما عن سلطة الاحبار الرومان .[١]

ولا بد لنا في هذا المجال من دراسة مؤرخين مارونيين قبل الاتيان على المطران يوسف الدبس ، هما المطران جبرائيل ابن القلاعي والبطريرك اسطفان الدويهي ، حيث ان الاول يعد اول من بدأ كتابة التأريخ الماروني التقليدى ، بينما الثاني يعد اعظمهم على الاطلاق .

جبرائيل ابن القلاعي

ولد جبرائيل ابن بطرس اللحفدى في قرية لحفد من اعمال جبيل في منتصف القرن الخامس عشر .[٢] ويكنى جبرائيل بأبن القلاعي وابن غورية لان والده كان قد بنى بيتا بين القلاع في مزرعة تدعى غورية من ارض لحفد .[٣] وعهد والده بتعليمه الى الخورى ابراهيم بن دريع الذى لقنه مبادئ قراءة اللغتين العربية والسريانية ، وكان مشغوفا منذ صباه بنظم الزجليات .[٤] ولما شب جبرائيل خطب له والده ابنة من ذوى قرباه ، فاعتراه استرخاء في عينيه مما ادى الى ابطال الخطبة فزهد في الدنيا وذهب الى القدس وانخرط في سلك الرهبان .[٥]

وكان في لبنان في ذلك الوقت الراهب غريفون الغلاندرى المشهور بعلاقته الوطيدة مع الموارنة . وبمساعدته انخرط جبرائيل مع رفيقيه يوحنا وفرنسيس في الرهبنة الفرنسيسكانية .[٦]

= الماروني ياخذ رواية من سبقه ويعتمد عليها في تأريخه دون ان يدقق في مدى صحتها .

١ . Haurani , A. , Op. Cit. , P. 254 .

٢ . البطريرك اسطفان الدويهي ، تاريخ الطائفة المارونية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٠ ، ص ٤١٢ .
ولسيرة ابن القلاعي راجع : Graf., Op. Cit., P.P.309 - 333 .

٣ . المصدر ذاته ، ص ٤١٢ .

٤ . المصدر ذاته ، ص ٤١٣ .

٥ . Salibi, K., Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. 24 .

٦ . الدويهي اسطفان ، تاريخ الازمنة (نشره وعلق عليه الاب ف . توتل) بيروت ، ١٩٥٠ ، ص ٢١٤ — ٢١٥ .

وفي سنة ١٤٧٠ سافر الثلاثة الى روما حيث تعلموا اللاتينية واللاهوت والعلوم وغيرها من المعارف .(١)

وفي سنة ١٤٩٣ عاد ابن القلاعي الى لبنان مرسلا فرنسيسكيا مشبعا حماسة وغيرة على الايمان الكاثوليكي ، ولكنه فوجيء حينما علم ورأى بعض اخوانه من الموارنة قد شايعوا اليعاقبة في ضلالاتهم .(٢) ولاحظ ابن القلاعي بعد نظر اليعاقبة في استغلال جهل الموارنة خصوصا في القضايا الدينية ، وقرر على الاثر محاربتهم بمثل سلاحهم .(٣)

ورأى جبرائيل ان لغة الزجل اسهل فهما من العربية الفصحى على سواد الملة المارونية ، لهذا راح يدحض مزاعم اليعاقبة ويرد على تهممهم بكتابة الزجليات . وترجم ابن القلاعي عن اللاتينية الكتب التي تبحث في اللاهوت والقانون الكنسي ، وكتب رسائل الى البطريرك والاساقفة والقواد والعظام يدافع فيها عن المعتقد الكاثوليكي ، ويبرهن عن تعلق الموارنة بهذا الايمان ، ويحاجج اقوال واراء من يخالف هذا القول ويفندها .(٤)

ولم يحاول ابن القلاعي في تواريخه عن الموارنة والكنيسة المارونية ان ينقل مشاهد صحيحة من الماضي . وبعبارة اخرى ، لم يراع الدقة في النقل ولا التجرد في السرد ، بل كان همه ان يبين ان الايمان الكاثوليكي هو الاصلح ، وان الموارنة كانوا منذ البدء متشبثين بعرى هذا الايمان مدافعين عنه ، ولم ينفصلوا يوما عن البابوية .(٥)

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٩٠٣ ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

٢ . Salibi,K., Marenite Histerians ef Medieval Lebanen , P. 25 .

٣ . Ibid. , P. 26 .

٤ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .

٥ . Graf , Op. Cit. , P.P. 5IO - 5II .

ويؤكد ابن القلاعي ايضا بأن حالة الموارنة الدينية والزمنية المزدهرة والمستقرة هي نتيجة منطقية وحتمية لهذا التعلق غير المنفصل وغير المنقطع مع روما .[١] وهكذا اعتبر ابن القلاعي التاريخ وسيلة وليس غاية ، يسخر حقائقه لخدمة مراميه ويعتمد على حوادثه للدفاع عن ارائه . ولهذا لم يعتبر ابن القلاعي تشويه التاريخ حينا ومزجه بالخرافات والاساطير احيانا ، عملا معيبا بل على العكس ضروريا .[٢]

واستمر ابن القلاعي يدافع عن الايمان الكاثوليكي بكل ما استطاع اليه سبيلا . فألف وترجم كتبا كثيرة . ويخبرنا الدويهي وبعده الدبس معتمدا عليه ، ان ابن القلاعي كتب ٤٦٥ رسالة يحث فيها المؤمنين بالمثابرة على الايمان القويم ويفند اراء الخصوم . هذا عدا عن الزجليات الكثيرة والكتب التي الفها وترجمها .[٣]

ويصف الدبس مؤلفات ابن القلاعي ، "صنف ابن القلاعي كتابا في الناموس البيعي وكتابا اشتمل على مواعظ كثيرة ، وكتابا في الاعتراف ، وكتابا في رياسة الاحبار الرومانيين واخبارهم ، وكتابا في ملوك رومة ، وكتابا في معتقد الموارنة واتحادهم دائما بالكنيسة الرومانية ، وكتابا في علم الالهيات ، واخر في الايمان القويم واسرار حياة المسيح ، وجمع خمس عشرة رسالة منفذة الى بطاركة الموارنة من الاحبار الرومانيين ، وكتب نحوا من خمسمئة رسالة لابناء ملته لتثبتهم في ايمان القديس مارون والكنيسة المارونية ، ونظم قصائد كثيرة وان كانت منحطة لغة فهي كثيرة الفائدة ".[٤]

---

١. Salibi, K., Historians of the Middle East , P. 218 .

٢. Ibid. , P. 217 .

٣. الدويهي اسطفان ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ٤٢٤ . انظر ايضا الدبس يوسف ، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ، ص ٣١١ .

٤. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ١٤٦ .

واثمر هذا الجهد ولاقى الصدى المستحب في روما عندما عين ابن القلاعي رئيسا للرهبنة الفرنسيسكانية في قبرص.[١] وعندما توفي مطران قبرص الماروني سنة ١٥٠٧، عينه البطريرك الماروني مطرانا مكانه. وبقي ابن القلاعي في منصبه هذا حتى مماته.[٢]

ويعتبر الدكتور صليبي ان ابن القلاعي هو من اوائل الموارنة الذين تعرفوا على اللاهوت الكاثوليكي والادب المسيحي ودرسوهما، وفي طليعة من قرأ ما كتبه الغربيون والاجانب عن طائفته. لذلك كان ابن القلاعي سباقا الى دحض مزاعم من شك منهم باستقامة الموارنة وبتعلقهم بالايمان الكاثوليكي وتفنيد اقوالهم.[٣]

ولكن ابن القلاعي المرسل الكاثوليكي كان مهتما باللاهوت والقضايا الدينية اكثر مما كان مهتما بالتاريخ. فهمه الاكبر والاوحد كان تبيان الاتحاد غير المنقطع بين الموارنة وروما، والمدافعة عن صحة هذا الايمان واستقامته، وتفنيد اقوال كل من عاكس هذا الرأى او شكك بصحة هذا الزعم.[٤] لهذا فأن اهم كتاب لابن القلاعي وهو، مديحة على جبل لبنان،[٥] كتبه المؤلف لهذه الغاية بالذات. والكتاب زجلية طويلة تعد من اطول واهم زجليات ابن القلاعي وتشبه الملحمة الى حد بعيد ليس في طولها وحسب وانما في محتوياتها ونفسها الشعري ايضا.[٦]

---

١. Salibi, K., Maronite Historians of Medieval Lebanon, P. 28.

٢. الدويهي اسطفان، تاريخ الازمنة، ص٢٢٦ — ٢٢٧.

٣. Salibi, K., Maronite Historians of Medieval Lebanon, P. 32.

٤. Ibid., P. 33.

٥. نشره بولس قرألي مع مقدمة وحواشي وفهرست تحت عنوان، حروب المقدمين ١٠٧٥ — ١٤٥٠، بيت شباب، ١٩٣٧.

٦. Salibi, K., Historians of the Middle East, P. 218.

وتخبرنا هذه الزجلية عن صراع موارنة شمالي لبنان الاحرار ضد حملات المسلمين المتكررة ، متضمنة ايضا مغزى ابن القلاعي المحبب ، وهو وحدة الموارنة واتحادهم مع روما وتعلقهم بايمانها القويم ، مبينا فائدة هذه الوحدة على الجماعة المارونية ، مظهرا سوء حالتهم عندما زاغوا عن الايمان الصحيح .(١)

وبعبارة اخرى ، يؤكد ابن القلاعي ان الازدهار والاستقرار هما نتيجة حتمية لوحدة الموارنة بروما بينما الاضطراب وتفاقم الاحوال هو نتيجة لا مفر منها ايضا عندما ينصرف الموارنة عن ايمانهم الكاثوليكي ويرذلوا تعاليمه .

ونرى ابن القلاعي في بعض الاحيان لا يتقيد بالحقائق التاريخية ولا بتسلسلها الزمني . وغالبا ما يخلط بين التاريخ وبين الاساطير والاحاديث التي لا تستند على مصادر يركن اليها . وبعبارة اخرى ، كان ابن القلاعي ينتقي الحوادث ويختار الروايات التي تنسجم وتتوافق مع مبدئه وتؤيد رأيه بغض النظر عن مدى صحتها .(٢)

ولابن القلاعي زجلية مهمة اخرى هي ، تبكيت كل من زاغ عن الايمان ،(٣) وتتناول حوادث عاصرها ابن القلاعي واشترك في بعضها . وهدف الزجلية وهدف جميع مؤلفات ابن القلاعي واعماله هما المدافعة عن الايمان الكاثوليكي ، وتبيان وحدة الموارنة والكنيسة الرومانية ، واقامة الدليل عن عدم انفصال الكنيسة المارونية عن الكنيسة الكاثوليكية .(٤)

اما عمل ابن القلاعي الثالث فهو رسالة بعث بها الى البطريرك الماروني مؤرخة

---

١ . Salibi, K., Historians of the Middle East , P. 218 .

٢ . Salibi, K., Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. 36 .

٣ . نشرها ابراهيم حرفوش في "المنارة" (١٩٣١) العدد الثاني ، ٧٤٨ — ٥٨ ، ٨٠٥ — ١٣ ، ٩٠١ — ٧ .

٤ . Salibi, K., Historians of the Middle East , P. 218 .

في ٦ كانون اول سنة ١٤٩٤ ٠ وتحتوى الرسالة على فقرات تتحدث عن علاقة الموارنة بروما وعن اتحاد الكنيستين ٠ (١)

اما اهتمام ابن القلاعي بالتاريخ اللبناني فكان مقتصرا على طائفته كوحدة دينية وجماعة زمنية ٠ وتاريخ لبنان بالنسبة اليه كان يعني تاريخ الطائفة المارونية ٠ (٢)

فما هي اذن اهمية ابن القلاعي بالنسبة الى التأريخ عند الموارنة ؟

تكمن اهمية ابن القلاعي في وقوفه في وجه الحركات الدينية الشرقية غير الكاثوليكية في زمن لم يكن موقف الطائفة المارونية بالمنيع اتجاهها ٠ بل ان بعض تعاليم اليعاقبة كانت قد لاقت ارضا طيبة ورواجا في بعض الاوساط المارونية ٠ فاهمية ابن القلاعي اذا هي في محاولاته الدائمة والمستمرة للدفاع عن الايمان الكاثوليكي وتعميمه وترويجه في نفوس الجماعة المارونية ، والعمل لتحقيق اتحاد مطلق وشامل بين الكنيستين المارونية والكاثوليكية ٠

ويقول الدكتور صليبي فيه ، "لم يكن ابن القلاعي دقيقا كمؤرخ لان هدفه كان التبشير بالايمان الكاثوليكي اكثر منه تدوين حقائق ٠ فقد كان رجل دين ومبشر قبل ان يكون مؤرخا وشاعرا ٠ ومهما يكن من امر ، فأن تواريخه مهمة بالرغم من اخطاءها المتعددة ، كتسلسلها الزمني المغلوط احيانا ، والتميز الظاهر في التأويل والتفسير ، والحقائق المتشابكة مع الاساطير والروايات احيانا اخرى ٠ وذلك لانها تكاد تكون الوحيدة عن تاريخ الموارنة في عصر الصليبيين والمماليك ٠ (٣)

---

١٠ نشرها ابراهيم حرفوش في "المنارة" (١٩٣١) العدد الثالث ، ٩٩ — ١٠٦ ، ١٧٦ — ٨٣ ، ٢٦٠ — ٣ ٠

٢٠ كان هذا طبيعيا بالنسبة لذلك الزمن ، اذ كانت كل طائفة دينية تشكل وحدة جماعية وحياتية متكاملة ٠ وكانت المعاطاة بينهما وبين الطوائف الاخرى مقصورة على بعض الاعمال البسيطة والعلاقات العابرة ولا تتعداها الى الجوهر الحياتي الاساسي ٠ (راجع الفصل الاول من الاطروحة او مقالة الدكتور صليبي ، "تعريف تاريخي بلبنان" ، الابحاث ، ج ٣ (ايلول ١٩٦٢) ص ٣٦٧ — ٣٦٩ ٠

٣٠ Salibi, K., Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. 87 .

اسطفان الدويهي

ولد اسطفان الدويهي في قرية اهدن سنة ١٦٣٠ . والده هو الشدياق ميخائيل وامه الحاجة مريم الدويهي .[١] تعلم مبادئ القراءة والكتابة في قريته ثم ارسله البطريرك جرجس عميرة التي كانت امه دويهية الى روما .[٢] ويعتقد البعض ان عمه المطران الياس الدويهي هو الذى ارسله .[٣] وكان عمر اسطفان ١٢ سنة عندما وصل الى روما في حزيران سنة ١٦٤١ . وفي "الكلية المارونية في روما" برهن اسطفان عن ذكاء خارق في تعلمه الفلسفة واللاهوت[٤] وتخرج في نيسان سنة ١٦٥٤ .[٥] وفي سنة ١٦٥٥ عاد اسطفان

---

١. الاب ف. توتل ، "البطريرك اسطفان الدويهي وتاريخ الازمنة" ، المشرق ، ج ٤٣ (١٩٤٣) ص ١٤ . انظر ايضا مقدمة توتل لتاريخ الازمنة ، ص ١ . ولترجمة الدويهي الكاملة انظر :
Graf , Op. Cit., P.P. 552 - 573 .

٢. من رسالة من البطريرك الدويهي الى القس بطرس مبارك احد تلامذة "الكلية المارونية في روما" الذى سأل البطريرك ان يلخص له ترجمته . فأجابه الدويهي برسالة مطولة يسرد فيها قصة حياته والرسالة موجودة في خزانة الكرسي البطريركي في بكركي . نقلها المطران يوسف الدبس واوردها في تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٣٠٨ .

٣. يؤكد البطريرك سمعان عواد في مقالته "ترجمة ابينا مار اسطفان الدويهي" ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٠ ، ان عم اسطفان المطران الياس الدويهي هو الذى ارسله . ويوافق الاب ف. توتل في مقدمته لتاريخ الازمنة ، ص ١ ، على ذلك .

٤. عواد سمعان ، "ترجمة ابينا مار اسطفان الدويهي" ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٠ ـ ١١ .

٥. المصدر ذاته ، ص ١٢ .

الى لبنان حيث سيم كاهنا واسس مدرسة في قرية اهدن . [١] ثم عين رئيسا على دير مار سركيس في اهدن . وفي سنة ١٦٥٧ ذهب الى حلب بمعية مطران السريان الكاثوليك حيث بقي ثمانية اشهر يساعد المطران ويبشر في كنيسة مار الياس . وعندما عاد الى لبنان تبع في دير مار يعقوب الحباش وبقي فيه ٥ سنوات . [٢]

---

١ . عواد سمعان ، "ترجمة ابينا مار اسطفان الدويهي" ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٣ . والدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٣٠٨ .

٢ . Salibi, K., Maronite Historians of Medieval Lebanon , P.91 .
وقد اخذ الدكتور صليبي هذه المعلومات عن مخطوطة بقلم البطريرك اسطفان الدويهي موجودة في مكتبة بولس مسعد رئيس اساقفة دمشق الماروني سابقا ، ونشرها الاب لويس شيخو في المشرق ، ج ٢١ ، ص ٢٠٩ — ٢١٦ . اما في مخطوطة الدويهي التي نقلها الدبس واوردها في تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٣٠٧ — ٣١٠ ، وفي الجامع المفصل لتاريخ الموارنة المؤصل ، ص ٣٦١ — ٣٦٣ ، فلم يأتي الدويهي على ذكر هذه المدة . كما غفل عنها ايضا الاب توتل في مقدمته لتاريخ الازمنة ، وكذلك البطريرك عواد في ترجمته للبطريرك الدويهي ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٠ — ٢٦ .

وفي سنة ١٦٦٣ (١) ارسل البطريرك الماروني جرجس عميرة الدويهي مرسلا وواعظا الى حلب حيث اقام خمس سنين يرشد ويعلم حتى اهتدى على يده كثير من الملكيين والنساطرة واليعاقبة . والف الدويهي في هذه الاثناء كتابا في الوعظ والارشاد يقع في مجلدين . (٢)

وفي سنة ١٦٦٨ زار الدويهي الاراضي المقدسة مع والدته ، وسيم اسقفا على قبرص وهو في طريق عودته من الحج . (٣) فجال في البلاد متفقدا ابناء ملته في بشرى والزاوية وعكار ، حيث حاول جاهدا رفع معنوياتهم وتحسين حالتهم . (٤)

---

١ . عواد سمعان ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٢ — ١٣ . انظر ايضا :

Salibi, K., Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. 9I .

ولكن في مخطوطة الدويهي التي اوردها الدبس في تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٣٠٨ ، نرى الدويهي يقول ، "وسنة ١٦٥٥ كانت عودتنا الى البلاد وكرم علينا مجمع انتشار الايمان ان نكون من جملة المرسلين وفي ترددنا في البلاد اعتنينا على علم الاولاد وعلى الوعظ وتهذيب الشعب بدرجة الكهنوت وعندما طلبوا جماعتنا الموارنة الحلبية من المرحوم البطريرك جرجس السبعلي ان نكرز عليهم ثبتنا عندهم نكرز عليهم ونعلم اولادهم ونتعاطى في امورهم مدة ستة سنين . وعندما في سنة ١٦٦٨ توجهنا من عندهم الى زيارة المواضع المقدسة ...". ويؤيد الاب ف . توتل هذا الرأى ، المشرق ، ج ٤٣ ، ص ١٥ . ويعتبر ان الدويهي ذهب الى حلب سنة ١٦٦٢ وليس سنة ١٦٦٣ كما يعتقد البطريرك عواد ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٢ ، والدكتور صليبي :

Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. 9I .

٢ . عواد سمعان ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٣ .

٣ . راجع ف . توتل ، "البطريرك اسطفان الدويهي" ، المشرق ، ج ٤٣ ، ص ١٥ . انظر ايضا عواد ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٣ . والدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٣١١ .

٤ . الاب توتل ، "البطريرك اسطفان الدويهي" ، المشرق ، ج ٤٣ ، ص ١٦ .

وعندما توفي البطريرك الماروني انتخب مطارنة الطائفة واعيانها في ٢٠ ايار سنة ١٦٧٠ المطران اسطفان الدويهي بطريركا · وفي سنة ١٦٧٢ جاءه درع التثبيت من البابا اقليميس العاشر ·(١) وظل الدويهي في منصبه اربعة وثلاثين سنة حتى وفاته سنة ١٧٠٤·(٢)

وقد برهن الدويهي عن حكمة ودراية في منصبه ، حتى ان بعضهم يدعونه بمار اسطفان الكبير ·(٣) وقد ادخل عدة تحسينات واصلاحات على الهيئة الكنسية وقوانينها ·(٤)

وقد الف الدويهي كتبا دينية فضلا عن كتب التاريخ ولكن اهميته تكمن ولا شك في كتبه التي بحثت في التاريخ وهي ثلاثة :

١ — تاريخ عن الموارنة يدعى تاريخ الطائفة المارونية ·(٥)

٢ — سلسلة باسماء مشاهير بطاركة الطائفة المارونية ، يدعى ، سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ·(٦)

١· Graf , Op. Cit. , P. 562 .

٢· Ibid. , P. 563 .

٣· لاحظ عنوان مقالة البطريرك عواد " ترجمة ابينا مار اسطفان الدويهي " ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص٩ ، فترى البطريرك عواد يطلق على الدويهي لقب مار اى القديس · انظر ايضا :

Salibi , K. , Historians of the Middle East , P. 219 .

٤· Salibi , K. , Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. 92 .

٥· نشره وعلق حواشيه رشيد الخورى الشرتوني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٠ · ويحتوى الكتاب على مقاطع من تاريخ الازمنة (ص٩٧ — ٢٦٢) ومختصر لتاريخ الرهبنة المارونية بقلم الناشر شرتوني وغيرها من المقتطفات·

٦· نشره وعلق حواشيه رشيد الخورى الشرتوني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠١ ·

٣ — تاريخ ديني وزمني منذ الفتح الصليبي حتى اواخر القرن السابع عشر سماه تاريخ الازمنة .(١)

اما الكتاب الاول ، تاريخ الطائفة المارونية ، فيتناول تاريخ الطائفة ويؤكد اتحادها الدائم والمستمر مع روما . ويقسم هذا الكتاب الى ثلاثة اقسام :

— القسم الاول سماه "نسبة الموارنة".(٢) ويبحث في اصل الموارنة كجماعة بشرية وكوحدة دينية ويتحدث عن حياتهم الاجتماعية والسياسية حتى القرن الثامن.(٣)

— القسم الثاني "رد التهم ودفع الشبه". (٤) ويتضمن دفاعا جدليا عن الموارنة وعن اتحادهم مع روما ، ويحاول الدويهي ان يؤيد الزعم بأن الموارنة كانوا على علاقة اتحاد غير منفصلة وغير متقطعة مع روما بأدلة وحجج تاريخية .

— القسم الثالث "احتجاج على الملة المارونية" وهو ايضا دفاع عن الموارنة بوجه الاتهامات التي اطلقها المبشرون الكاثوليك ضدهم . وهذا القسم في معظمه جدل لاهوتي وليس له اهمية تاريخية مباشرة .(٥)

---

١ . نشر لاول مرة في "المشرق" ج ٤٢ (١٩٥٠) تحت عنوان تاريخ الازمنة . ثم نشره الاب ف . توتل مع مقدمة بمناسبة مرور ٧٥ سنة على تأسيس جامعة القديس يوسف ، بيروت ، ١٩٥١ .

٢ . وهو القسم من ص ١ — ٩٧ من الكتاب .

٣ . Graf , Op. Cit. , P.P. 364 - 365 .

٤ . Salibi , K. , Maronite Historians of Medieval Lebanon , P. 94 .

وهذا القسم ليس في الكتاب وانما نشر في "المنارة" ، XII , XI , VIII , XIII , XIV .

٥ . Ibid. , P. 94 .

وقد اعتمد الدويهي في تاريخ الطائفة المارونية ،على مصادر ومراجع مهمة سمى بعضها في الكتاب • اما هدفه فكان التصدى لمحاولات الكتاب الغربيين والشرقيين على السواء والذين كانوا يتهمون الموارنة بالانفصال عن روما حينا ، ويشكون بذلك الولاء اذا وجد احيانا .(١)

ولم يكن هم الدويهي ارجاع بعض المنشقين الموارنة الى حظيرة الكثلكة كما فعل ابن القلاعي ،لان الموارنة كانوا قد اتحدوا في القرن السابع عشر اتحادا وثيقا مع روما .(٢) ولكن همه كان تبيان فائدة هذه الوحدة على الطائفة • اما اسلوبه فكان جدليا منطقيا ، ولكن لغته العربية كانت ركيكة ضعيفة خاصة في مبادئ القواعد والاملاء .(٣)

١• Graf , Op. Cit. , P. 567 .

٢• للاستزادة حول موضوع الوحدة بين الكنيستين المارونية والكاثوليكية راجع مقالة الدكتور صليبي :

" The Maronite Church in the Middle Ages and its Union with Rome" , Oriens Christianus , Vol. 42 (1958) P.P.92 - 104 .

٣• ف • توتل ،تاريخ الازمنة ،ص • يا •

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية (١)

ويحتوى هذا الكتاب على لائحة باسماء البطاركة الموارنة منذ وفاة مار مارون حتى انتخاب اسطفان الدويهي بطريركا سنة ١٦٧٠ ٠ ويضم الكتاب لمحات عن حياة واعمال اهم البطاركة ايضا ٠ ولكن السلسلة ناقصة باعتراف المؤلف نفسه حيث لم يعدد اسماء البطاركة بين سنين ١١٣٠ ــ ١٢٠٩ ٠(٢)

تاريخ الازمنة

يختلف تاريخ الازمنة عن الكتابين السابقين من حيث التنظيم والمحتويات ٠ والكتاب

---

١٠ يقع الكتاب في ٢٣١ صفحة ٠ الاربعين الاولى منها بقلم البطريرك اسطفان الدويهي ، وتبدأ السلسلة من ايام مار مارون حتى انتخابه بطريركا سنة ١٦٧٠ ٠ ويتابع الشرتوني كتابة السلسلة معتمدا على تاريخ البطريرك بولس مسعد وعلى رسالة الخورى يوسف مارون الدويهي وهي مخطوطة محفوظة في المكتبة الشرقية ٠ ويصل الشرتوني بالسلسلة حتى سنة ١٨٩٩ اى سنة انتخاب الياس الحويك بطريركا على الموارنة (سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ، ص ٤٠٠) ٠ وقد ادخل الاب طوبيا العنيسي عدة تحسينات على سلسلة البطاركة ونظمها في كتابه ، سلسلة تاريخية لبطاركة انطاكية المارونية ، روما ، ١٩٢٧ ٠

٢٠ Salibi, Marenite Histerians ef Medeival Lebanen , P. IOO .

سرد زمني سنة بعد سنة لاهم الحوادث في لبنان والبلاد المحيطة به ولان الدويهي كان يعيش في زمن الامارة المعنية التي وحدت بين اجزاء لبنان ومقاطعاته وعملت على تقارب طوائفه وشيعه ، فلم يقتصر اهتمامه على شمالي لبنان الماروني كما كانت الحال مع من سبقه من المؤرخين الموارنة ، بل شمل اهتمامه ايضا جنوب لبنان الدرزي .(١)

ونظرا لاسفار الدويهي المتكررة الى حلب وفلسطين وغيرها من المناطق المجاورة ، والتي اكسبته معرفة دقيقة لاوضاعها ، فقد اهتم بها ودون اهم الاحداث وسرد معظم الحوادث التي وقعت فيها .

وهنالك مخطوطتان لتاريخ الازمنة ، واحدة تبدأ سنة ١٠٩٥ وهي المعروفة والمطبوعة ،(٢) ويستهلها الدويهي بقوله :"... وبعد ، ولما خرجنا سنة الف وستماية وثمان وستين الى افتقاد الرعايا الذين اوتمنا على زياراتهم ، لئلا نهدر باطلا الزمان الذى يفضل عن الارتشاد استصوبنا التقاط بعض اخبار تخص هذه البلدان المقيمين بها من الكتب التي نقف عليها ، وقصدنا الابتداء منذ بدىء الهجرة لكون الاب الطاهر يوحنا مارون تملك الكرسي الانطاكي في سنة ستماية وخمسين وثمانين لربنا الموافقة لسنة ستوستين للهجرة ، فاعتمدنا وجمعنا اخبارا شتى من تواريخ اصحاب ذلك العصر ، ولكن حين تأملنا ان غالب تلك الاخبار تنتسب الى الامم الغربية والتي تخص هذه البلدان زهيدة وغير مرتبة على توقيع السنين فاقتصرنا على ذكرها وجعلنا مبتدأ هذا التاريخ من سنة الف وماية للتجسد السيد المخلص لكون بالقرب من دخولها كان استيلاء الفرنج على سواحل هذه البلدان ...".(٣)

---

١. Hourani , A. , OP. Cit. , P. 227 .

٢. Ibid. , P. 228 .

٣. الدويهي اسطفان ، تاريخ الازمنة ، ص١ _ ٢ .

ولم يحاول الدويهي في تاريخ الازمنة ان يفسر ويحلل الظواهر التاريخية ولا حاول ان يعظ ويبشر ويقنع بل كان هدفه سرد الحوادث الزمنية والدينية بطريقة سهلة مفهومة .(١)
ويضيف ناشر الكتاب الاب توتل قوله ، "ان تاريخ الازمنة اشبه منه بالموسوعة او بدائرة المعارف الشاملة بين دفتيها خلاصة اخبار الاعلام والحوادث والايام في بلاد الشرق الادنى على مدى ستة قرون ١٠٩٥ — ١٦٩٩م ، وليس الغرض منه البنيان التاريخي عن التصميم الظاهرة فيه الوقائع مع علاقاتها بالزمان والمكان والمعللة اسبابها بالنسبة الى الشخصيات البارزة فيها حكاية لذيذة وعبرة قريب منالها من العامة ، بل هو الالمام بأهم ما يتوجب على الاديب الشرقي معرفته من حياة جدوده السياسية والاجتماعية والدينية ...".(٢)

وقد يكون في هذا الرأى غلوا اذ ان تاريخ الازمنة ، ليس بهذه الاهمية خصوصا كمرجع لحوادث الشرق الادنى في عصر الصليبيين والمماليك والعثمانيين ، اذ ان هنالك مصادر ومراجع تفوقه اهمية وهي بالذات مصادر الدويهي نفسه كغليوم الصورى عن فترة الصليبيين ، وابن الحريرى وابن اياس عن عهد المماليك . ولكن اهمية الكتاب تكمن في اضافته الكثير الى تاريخ لبنان والموارنة ، خاصة لان المؤلف اعتمد على مصادر اصلية ونادرة واهمها كتاب صالح بن يحيى وابن سباط عن لبنان التنوخي ، والصفدى والخالدى عن لبنان المعني .(٣)

اما مصادره عن تاريخ الموارنة فهي خمسة :(٤)

- المؤرخون الموارنة الاقدمون .
- اخبار وحوليات الرحالة الغربيين .
- المراسلات والبراآت البابوية .

---

١. Salibi, K. , Marenite Histerians ef Medeival Lebanen , P. 99 .

٢. الاب ف. توتل ، "توطئة" ، تاريخ الازمنة ، ص . يا .

٣. Hourani , A. , Op. Cit., P. 227 .

٤. Salibi , K. , Marenite Histerians ef Medeival Lebanen , P.IO2 .

— النقش والاثار المارونية .
— تواريخ الطوائف الشرقية غير المارونية .

فالدويهي اذا هو اول مؤرخ ماروني من اتباع المدرسة التقليدية رأى لبنان وحدة حياتية تجمع بين مسيحييه ودروزه .[1] وكتب تاريخ لبنان الزمني بفئتيه وطائفتيه فكان بهذا سباقا . ولكن الدويهي لم يفسر علاقة شمالي لبنان بجنوبه ، وثم علاقة لبنان بجيرانه . فهو اذا مجمع معلومات واخبار اكثر منه محللا للاحداث معلقا عليها .[2] فما هي اهمية الدويهي اذا ؟

اهميته في انه اعتمد على مصادر لم تكن معروفة وشائعة من قبل ، اظهرها الى حيز العلانية واعتمد عليها في تاريخه للبنان والموارنة . اما تأريخه للبلدان المجاورة فهو ذو اهمية محدودة بالنسبة الى غيره من التواريخ المعاصرة للدويهي .

وقد نلمح في تواريخ الدويهي تطرفا وتحيزا خاصة في المسائل والقضايا الدينية . وهذا طبيعي متى علمنا ان الدويهي كان ركن مدرسة التأريخ المارونية التقليدية التي كان هدف افرادها وغايتهم الدفاع عن الموارنة ورد التهم عنهم ، وتبيان علاقتهم الوثيقة بروما والتشديد على مبدأ الوحدة معها . وهذا طبعا يجر الى اخطاء حينا ، ويسخر التاريخ لمآرب وغايات هو بمنأى عنها احيانا . ناهيك عن ان التطرف والتحيز يصبحان شيئا لازما وضروريا وليس عيبا وخطاء .

---

١ . Hourani , A., Op. Cit. , P. 227 .

٢ . Salibi , K., Historians of the Middle East , P. 222 .

٥ — عرض محتويات ونقد مصادر تاريخ سورية

المحتويات

اعتبر الدبس بداية العالم بداية التاريخ اسوة بغيره من المؤرخين التقليديين .(١) ولهذا استهل الجزء الاول من تاريخ سورية ، بلمحة عامة عن الخليقة والطوفان ، وتحدث عن ادم وحواء والانبياء ، وبحث في اصل الانسان الاول .(٢)

بدأ الدبس تاريخه بمراجعة جغرافية لحدود سوريا الطبيعية ، فتحدث عن جبالها وانهارها ، وتكلم عن مدنها وقراها ، ولم يكن الدبس في ذلك سباقا ، بل كانت طريقته في اضفاء مقدمة جغرافية على كتاب تاريخ شيئا شائعا في القرن التاسع عشر .(٣)

وتحدث الدبس اول ما تحدث عن الحثيين ، ووصف حروبهم مع المصريين ، وبحث في اصل لغتهم ومنشاء صناعاتهم واصل ديانتهم ثم كيفية استيطانهم لاسية الصغرى ، ووصف حالة جالياتهم في بلاد اليونان وايطاليا وقبرص .(٤)

---

١ . انظر : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ص٦ — ٥٩٥ . وعز الدين محمد بن عبد الكريم ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٢٩ — ١٩٣٨ ، ص٢ — ١٢٠ . وعماد الدين اسماعيل ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ١ ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ، ص٧ — ٣٦ . وابو العباس احمد بن يوسف القرماني ، اخبار الدول واثار الاول ، بغداد ، ١٢٨٢ هـ ، ص٤ — ٧٠ .

٢ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ١ ، ص٢ — ٢٥ .

٣ . انظر : الشدياق طنوس ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ص٦ — ٣٤ . جرجي يني ، تاريخ سوريا ، ص٥ — ٢٠ . الاب مرتين اليسوعي ، تاريخ لبنان (ترجمة رشيد الخوري الشرتوني) مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٨٩ ، ص١١ — ٦٩ .

٤ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ١ ، ص١٦٥ — ٢٢٩ .

ويعتقد الدبس ان الحثيين هم انفسهم الملوك الرعاة او الهكسوس الذين غزوا مصر في القرن الحادي والعشرين والقرن العشرين قبل الميلاد .(١) ويعتمد الدبس على اقوال المؤرخ الاب دي كارا الذي اقام الحجج والبراهين على صحة هذا الزعم .(٢) ويترك هذا الجزء مجالا للنقاش في صحة هذا الرأي ، اذ يعتقد غيرهم من المؤرخين ان الملوك الرعاة لم يكونوا من امة واحدة ولا جاءوا من بلد معين ، بل كانوا شعوبا من امم عديدة وانحاء شتى .

ثم ينتقل الدبس الى الفينيقيين ويستهل مقالته ببحث في اصل الكنعانيين اجداد الفينيقيين ، ويتحدث عن ارتحالهم الى سوريا واماكن استيطانهم ونشوء ممالكهم وتشتتهم .(٣)

ويبحث الدبس ايضا في اسم الفينيقيين ومدنهم ثم اختراعاتهم واكتشافاتهم ومستعمراتهم وحالتهم السياسية وينتقل الى شرح اسباب سقوط صيدا القوية وازدهار المملكة الصورية ويتناول بحثه اسباب التوسع الصوري ومستعمرات صور .(٤) ثم يتناول الدبس علاقات الفينيقيين بالعبرانيين (٥) والاشوريين ،(٦) ثم الكلدانيين والفرس .(٧) وفي نهاية المقال يتطرق الدبس الى حالة الفينيقيين الاقتصادية والاجتماعية ويصف تجارتهم وصناعتهم ،(٨) ثم يتطرق الى بحث في علومهم ، ولغتهم ، وديانتهم ، وابجديتهم .(٩)

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٢٣٤ — ٢٣٧ .
٣. المصدر ذاته ، ص ٢٥٥ — ٢٦٢ .
٤. المصدر ذاته ، ص ٢٦٤ — ٢٨١ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٢٨٢ — ٣٠٢ .
٦. المصدر ذاته ، ص ٣٠٣ — ٣١٨ .
٧. المصدر ذاته ، ص ٣١٩ — ٣٣٢ .
٨. المصدر ذاته ، ص ٣٣٣ — ٣٤٧ .
٩. المصدر ذاته ، ص ٣٤٨ — ٣٧٣ .

ويقتصر الجزء الثاني من تاريخ سورية على وصف لحالة العبرانيين . ويعدد الدبس في الصفحات الاولى انساب العبرانيين من ابراهيم الخليل ، فاسحق ، فيعقوب ، وعيسو ، الى يوسف .(١) ويروي المؤلف اخبار بني اسرائيل في مصر ،(٢) ثم اخبارهم في شرقي الاردن .(٣) ويسرد الدبس اخبار بني اسرائيل تحت حكم القضاة وشاوول ،(٤) ثم يسرد اخبار داود وسليمان ،(٥) ويبحث الدبس في اسباب انشقاق مملكة العبرانيين الى مملكة يهوذا واسرائيل .(٦) ويتابع الدبس اخبار اليهود تحت حكم الكلدانيين حتى مجيء الاسكندر الكبير .(٧)

ويستهل الدبس الجزء الثالث من تاريخ سورية بفصلين . الاول يتكلم فيه عن الانبياء الكبار ،(٨) والثاني يبحث فيه احوال الانبياء الصغار .(٩) وينتقل الدبس الى الاسكندر الكبير ويتناول بحثه حالة البلاد السورية زمن الفتح المقدوني ،(١٠) ثم ينتقل الى الحديث عن خلفاء الاسكندر في سوريا حتى انقراض دولتهم .(١١)

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٢ ، ص ٢ — ٨٢ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٨٥ — ١٦٤ .
٣. المصدر ذاته ، ص ١٦٧ — ١٨٢ .
٤. المصدر ذاته ، ص ١٨٨ — ٣٠٥ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٣٠٧ — ٣٩٠ .
٦. المصدر ذاته ، ص ٣٩٢ — ٥٤٦ .
٧. المصدر ذاته ، ص ٥٤٨ — ٦٢٨ .
٨. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٣ ، ص ٢ — ٢١ .
٩. المصدر ذاته ، ص ٢٢ — ٤٠ .
١٠. المصدر ذاته ، ص ٤٢ — ٧٩ .
١١. المصدر ذاته ، ص ٨٥ — ٢٧٢ .

ومع الفتح الروماني للبلاد السورية ينقسم تاريخ سورية الى قسمين مستقلين منفصلين ٠ اما القسم الاول فهو التاريخ الدنيوى او الزمني للبلاد السورية ٠ والقسم الثاني هو تاريخ كنسي او ديني لسوريا ايضا ٠ ويتسلسل تاريخ سورية من ولادة السيد المسيح حتى اواخر القرن التاسع عشر معتبرا القرن وحدة زمنية تاريخية متكاملة ٠ ولهذا تتدرج الاحداث وتتوالى الاخبار قرنا تلو القرن ٠ وبهذا اختلف الدبس عن البطريرك اسطفان الدويهي رائد المدرسة التقليدية في التأريخ الماروني ، والذى كتب تاريخ الازمنة [1] على نظام الحوليات اى سنة بعد اخرى ٠ وكذلك اختلف نظام التأريخ عند الدبس عن نظام المؤرخين المسلمين الذين اخذ الدبس عنهم اخبار وحوادث سوريا الزمنية ٠ ومن هؤلاء على سبيل المثال ، الطبرى ، ابن الاثير ، ابن خلدون ، ابو الفداء ، القرماني ، المقريزى ، ابن اياس ، وابن تغرى بردى ، وغيرهم ٠

وكان هؤلاء المؤرخون في معظمهم يتبعون نهجا من عدة ٠ فكان بعضهم يكتب تاريخه على نسق الحوليات ، [2] بينما البعض الاخر سرد الحوادث

---

١٠ الدويهي اسطفان ، تاريخ الازمنة ، بيروت ، ١٩٥٥ ٠

٢٠ ومن هؤلاء المؤرخين نذكر الطبرى ، اخبار الرسل والملوك ٠ وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٠ وتناولوا في تواريخهم العصور الاسلامية الثلاثة : الراشدى ، والاموى ، والعباسي ٠ اما ابو البركات محمد بن احمد ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٣ ج ، حققه محمد مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠ — ١٩٦١ م ٠ فقد ارخ لعصر المماليك ونهج على نسق الحوليات ايضا ٠ اما عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، ٤ ج ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، ١٣٢٢ هـ ٠ فقد اتبع نظام الاشهر وليس السنين ٠

على حسب الخلافات اى كانوا يدونون الاخبار والحوادث التي تقع زمن خلافة معينة ويختمون الفصل مع انتهاء الخلافة المعنية نفسها .[١] ومن المؤرخين ايضا من كتب تاريخه حسب الممالك والشعوب .[٢]

ومن مؤرخي القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر من تبع نظام الحوليات ، والبعض الاخر نظام التسلسل التاريخي ، واقلية تبعت نظام النسب .

ومن المؤرخين اللبنانيين الذين انتهجوا نظام الحوليات البطريرك اسطفان الدويهي ،[٣] والاب روفائيل كرامة ،[٤] والمعلم ابراهيم العورة ،[٥] والامير حيدر الشهابي .[٦]

ومن المسيحيين السوريين الذين ارخوا على نظام الحوليات ايضا ، الخوري ميخائيل بريك الدمشقي .[٧]

ومن الذين تبعوا نظام التسلسل التاريخي الشيخ انطونيوس العينطوريني[٨] في

---

١ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر . القرماني ، اخبار الدول واثار الاول . جمال الدين ابو المحاسن يوسف ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ ج ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩ — ١٩٥٦ . ابو العباس احمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٦ ج ، حققه محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٤ — ١٩٤٢ .

٢ . عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون او كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، ٧ ج ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٦ — ١٩٥٩ .

٣ . الدويهي اسطفان ، تاريخ الازمنة .

٤ . الاب روفائيل كرامة ، مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسوريا من سنة ١٧٤٥ — ١٨٠٠ (نشره المطران باسيليوس قطان) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٩ .

٥ . المعلم ابراهيم العورة ، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل (نشره الخوري قسطنطين الباشا) مطبعة دير المخلص ، ١٩٣٦ .

٦ . الامير حيدر الشهابي ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين (نشره اسد رستم وفؤاد البستاني) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ .

٧ . الخوري ميخائيل بريك الدمشقي ، تاريخ الشام ١٧٢٠ — ١٧٨٢ (علق عليه ونشره الخوري قسطنطين الباشا) حريصا ، ١٩٣٠ .

٨ . الشيخ انطونيوس ابو خطار العينطوريني ، مختصر تاريخ جبل لبنان (نشره الاب اغناطيوس الخوري كفرشخنا) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٣ .

اوائل القرن التاسع عشر ، وجرجي يني [١] في اواخر القرن نفسه .

ويمثل الشيخ طنوس الشدياق الذى كتب تاريخ الامراء والمشايخ والوجهاء ، جماعة مؤرخي الانساب والعائلات الارستقراطية . [٢]

وهناك ايضا تواريخ اماكن ومقاطعات معينة ويمثل هذا الاتجاه التأريخ في مجال ضيق ومحدود . [٣] وهنالك ايضا تواريخ حوادث وسنين مهمة . [٤]

وقد ظهر في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين جماعة من المؤرخين الدينيين ، الذين لم يأولوا ويفسروا الحوادث تأويلا اوتفسيرا دينيا وحسب ، بل انهم قصروا تواريخهم على الشؤون الدينية فقط . [٥]

---

١. يني جرجي ، تاريخ سوريا .

٢. الشدياق طنوس ، اخبار الاعيان في جبل لبنان .

٣. الخورى منصور الحتوني ، نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية (نشره يوسف ابراهيم يزبك) ١٩٥٦ . وعارف الزين ، تاريخ صيدا ، صيدا ، ١٩١٣ .

٤. انطوان ضاهر العقيقي ، ثورة وفتنة في لبنان (نشره يوسف ابراهيم يزبك) ١٩٣٨ . وهناك ايضا كتاب لمؤلف مجهول ، حسر اللثام عن نكبات الشام ، مصر ، ١٨٩٥ . والكتابين يتناولان حوادث سنة ١٨٦٠ .

٥. البطريرك مكسيموس مظلوم ، نبذة تاريخية فيما جرى لطائفة الروم الكاثوليك منذ سنة ١٨٣٧ فيما بعدها (نشره الخورى قسطنطين الباشا) ، (لا . ت) . انظر ايضا ، القس افرام الديراني ، كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم ، ١٨٩٩ . القس عمنوئيل البعبداتي ، تاريخ الرهبانية الانطونية ، ١٨٩٦ . الخورى ميخائيل عبد الله غبرئيل ، تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية ، المطبعة اللبنانية ، بعبدا ، ١٩٠٤ . المطران يوسف دريان ، نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية ، مطبعة الاخبار ، مصر ، ١٩١٦ .

فكان الدبس سباقا اذا في تقسيم تاريخه الى قسمين مستقلين : ديني وزمني ، وفي جعل القرن وحدة تاريخية كاملة .

ويتناول الباب الاول من تاريخ سورية الزمني حكم الرومان في سوريا وحروبهم مع اليهود ، ويختمه الدبس بلمحة في بعض المشاهير من الكتاب السوريين في القرن الاول للميلاد .(١)

اما القسم الثاني فيتناول تاريخ سورية الديني في القرن الاول للميلاد ، ويتحدث فيه الدبس عن العهد الجديد . ولادة المخلص ونشأته وتعاليمه ، ويترجم لتلاميذ المسيح والمبشرين والمبتدعين الاول .(٢)

ويقسم الدبس تاريخ سورية في القرن الثاني للميلاد الى قسمين ايضا . تاريخ زمني يتناول حكم الرومان لسورية ، وقسم ديني يتحدث فيه عن بطاركة انطاكية واورشليم ويترجم لاساقفة سورية في هذا القرن .(٣)

اما الجزء الرابع من تاريخ سورية فيبحث في الاحداث التي وقعت في سورية بين القرون الثالث والسابع ميلادى . القسم الاول يتناول تاريخ سورية الزمني فيبحث في الملوك والحكام الرومان .(٤) ويبحث القسم الثاني في بطاركة واساقفة انطاكية وسورية والمشاهير والشهداء الدينيين ، ثم يعرض المباحث الدينية ويتعرض للبدع والمجامع التي عقدت في سورية في القرن الثالث ميلادى .(٥)

ويلي هذا البحث فصل في تاريخ سورية الزمني في القرن الرابع ويشمل تاريخ الملوك الرومان والروم .(٦) ويتبعه بفصل في تاريخ سورية الديني في القرن الرابع ويتناول اسماء

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ — ٣٧٨ .
٢ . المصدر ذاته ، ص ٣٧٩ — ٥٥٦ .
٣ . المصدر ذاته ، ص ٥٦١ — ٦٣٥ .
٤ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٤ ، ص ١٤ — ٣٨ .
٥ . المصدر ذاته ، ص ٤٢ — ٩٠ .
٦ . المصدر ذاته ، ص ٩١ — ١٣٥ .

واعمال اشهر البطاركة والاساقفة السوريين ويشرح اعمال المجامع التي عقدت في سورية في هذا القرن ، ويحدد اسماء الكنائس ومنشئيها ، ثم يسمي القديسين والشهداء ، ويدحض البدع والمبتدعين في سورية في القرن الرابع ميلادي .(١)

ويستهل الدبس تاريخه للقرن الخامس بذكر اسماء الملوك البيزنطيين الذين حكموا سورية في هذا القرن ويذكر اهم الاحداث التي وقعت في سورية ابان حكمهم .(٢) ثم يترجم الدبس لبطاركة انطاكية واورشليم واساقفة سورية وقديسيها ، ويهاجم البدع والمنشقين عن حظيرة الكنيسة الكاثوليكية ، ويلخص اعمال المجامع التي عقدها المسيحيون في سورية في هذا القرن . ويتبع هذا الفصل بملحق خاص في تاريخ الموارنة .(٣)

ويتابع الدبس تعداد اسماء الملوك البيزنطيين وشرح اعمالهم في تاريخه الزمني للقرن السادس ، ويترجم لمشاهير الادباء والعلماء السوريين في هذا القرن .(٤)

ويلحق الدبس بالتاريخ الزمني تاريخ ديني للقرن السادس ، يذكر فيه اسماء واعمال بطاركة انطاكية واورشليم والمشاهير الدينيين في سورية ، ويتناول بحثه اعمال المجامع التي عقدت في هذا القرن ويهاجم البدع التي ظهرت في سورية .(٥) وفي ختام البحث ملحق في تاريخ الموارنة في القرن السادس .(٦)

ويختم الدبس الجزء الرابع من تاريخ سورية ، بفصل في تاريخ سورية الدنيوى في

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٤ ، ص ١٥٢ — ٢١٠ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٢١١ — ٣٠٦ .
٣. المصدر ذاته ، ص ٣٠٧ — ٤١٢ .
٤. المصدر ذاته ، ص ٤٢٨ — ٤٦٣ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٤٦٤ — ٥٢٨ .
٦. المصدر ذاته ، ص ٥٢٩ — ٥٤٠ .

القرن السابع ، يتناول حروب الرومان واليهود ، والبيزنطيين والفرس .[١] ويلحقه بفصل اخر يشمل حياة واعمال الخلفاء الراشدين وسيرة من حكم سورية من الخلفاء الامويين في القرن السابع .[٢]

اما تاريخ سورية الديني في القرن السابع فيشمل اسماء ومنجزات بطاركة انطاكية واورشليم واساقفة سورية في هذا القرن . ويبحث في المجامع والمؤتمرات الدينية التي عقدت في سورية والبدع التي ظهرت وانتشرت فيها في هذا القرن .[٣] ويتبع الدبس بحثه بملحق في تاريخ الموارنة يتناول فيه حالتهم الزمنية ، وسيرة القديس مارون . ويدافع الدبس عنهم ويبرئهم من جميع التهم التي وجهت اليهم .[٤]

ويتناول تاريخ سورية الزمني في القرن الثامن وملخص حياة واعمال الخلفاء الامويين والعباسيين الذين حكموا سورية في هذا القرن ، ويترجم الدبس لمشاهير الكتاب والشعراء والادباء السوريين .[٥]

وفي تاريخه الديني للقرن الثامن يترجم الدبس لبطاركة انطاكية واورشليم واساقفة سورية ويفند البدع ويدحض الهرطقات التي ظهرت في سورية .[٦] وكالعادة يلحق الدبس تاريخه بفصل يبحث في تاريخ الموارنة ، معظمه دفاع عن معتقدهم .[٧]

اما تاريخ سورية الزمني في القرن التاسع فيشمل اسماء الخلفاء العباسيين الذين حكموا سورية واعمالهم . ويضيف الدبس اليهم تراجم المشاهير السوريين في العلم والادب .[٨]

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٤ ، ص ٥٤١ ـ ٥٥٩ .
٢ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٥ ، ص ٤ ـ ٤٧ .
٣ . المصدر ذاته ، ص ٥١ ـ ١٠٠ .
٤ . المصدر ذاته ، ص ١٠٤ ـ ٢١١ .
٥ . المصدر ذاته ، ص ٢١٤ ـ ٢٥٢ .
٦ . المصدر ذاته ، ص ٢٥٣ ـ ٢٨٤ .
٧ . المصدر ذاته ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٨ .
٨ . المصدر ذاته ، ص ٣٠٤ ـ ٣٣٧ .

ويتناول تاريخ سورية الديني لهذا القرن قصة الشقاق في كنيسة القسطنطينية ، ويسمي مشاهير العلماء الدينيين ، ويعدد اسماء بطاركة انطاكية واورشليم .(١)

وفي ملحق الموارنة لائحة باسماء بطاركتهم الى اخر القرن السادس وسيرة قيس الماروني .(٢)

ويتحدث الدبس في تاريخ سورية الزمني في القرن العاشر عن ضعف الامبراطورية العباسية وظهور الدويلات المستقلة . ويعلق على ما رواه المؤرخون النصارى عن حروب البيزنطيين والحمدانيين ، ويتناول اخبار العلويين ، ويبحث في منشأ الدولة الفاطمية .(٣) ويترجم الدبس لمشاهير اهل العلم السوريين في هذا القرن ومعاصريهم من غير السوريين .(٤) ويترجم الدبس ايضا لمشاهير رجال الدين السوريين في هذا القرن . ويتبع تاريخه الديني بملحق عن الموارنة يرد فيه على مزاعم من اتهمهم بالضلال .(٥)

اما تاريخ سورية الزمني في القرن الحادى عشر فيبحث في امر الخلفاء العلويين الذين تولوا على سورية في هذا القرن ومن عاصرهم من مشاهير العلماء والادباء . ويتحدث فيه ايضا عن ملوك الروم والخلفاء العباسيين .(٦)

ويتناول تاريخ القرن الحادى عشر الديني ترجمة لبطاركة انطاكية واورشليم والمشاهير الدينيين في سورية في هذا القرن . ويبحث في النزاعات والخلافات الدينية ، ويشجب الهرطقات والبدع التي ظهرت في سورية في القرن الحادى عشر .(٧) وفي نهاية البحث ملحق في تاريخ الموارنة يتناول في معظمه سيرة المطران داود الماروني واعماله .(٨)

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٥ ، ص ٣٣٨ — ٣٢٤ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٣٦٥ — ٣٦٨ .
٣. المصدر ذاته ، ص ٣٧٠ ، ٤٠٨ .
٤. المصدر ذاته ، ص ٤١٢ — ٤٣٠ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٤٣٢ — ٤٥٠ .
٦. المصدر ذاته ، ص ٤٥١ — ٤٥٤ .
٧. المصدر ذاته ، ص ٤٥٥ — ٥٠٠ .
٨. المصدر ذاته ، ص ٥٠٣ — ٥٤١ .

ويستهل الدبس الجزء السادس من تاريخ سورية بشرح اسباب الحروب الصليبية ، وزحف الجيوش الصليبية ووصولها الى بلاد الشرق . ثم يصف فتحها للمعاقل الاسلامية كطرابلس واورشليم . ويبحث ايضا في اسباب ضعف الصليبيين ويصف معركة حطين واسترداد صلاح الدين لعكا وغيرها من الحوادث المتعلقة بهذه الحروب .(١) ويتحدث الدبس عن بعض مشاهير السوريين في القرن الثاني عشر .(٢)

ويعقب تاريخ سورية الزمني في القرن الثاني عشر تاريخها الديني . فيترجم الدبس لبطاركة انطاكية واورشليم كالعادة ، ثم يزيد عليهم اسماء اساقفة سورية ومشاهير العلماء الدينيين السوريين .(٣) ويتبعه بملحق في تاريخ الموارنة الديني والزمني في القرن الثاني عشر .(٤)

ويبدأ الدبس تاريخ القرن الثالث عشر بكلام مسهب عن احداثه الزمنية المهمة ، خاصة حروب المماليك والصليبيين . ويعدد حملات الصليبيين المتعددة والمتكررة مبينا اهدافها ، اعمالها ، ونتائجها .(٥) ويلحق الدبس بهذا الفصل فصلا اخر يترجم فيه لمشاهير اهل العلم السوريين في هذا القرن .(٦)

اما تاريخ سورية الديني في القرن الثالث عشر فيتضمن ترجمة لبطاركة انطاكية واورشليم والمشاهير السوريين من الاساقفة ورجال الدين .(٧) ويشمل ملحق الموارنة لهذا القرن وصفا لفتح المسلمين لجبة بشرى وحروب كسروان كما يتضمن لائحة باسماء بطاركتهم .(٨)

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٣ — ١٣٤ .
٢. المصدر ذاته ، ص ١٣٧ — ١٥٩ .
٣. المصدر ذاته ، ص ١٦٠ — ١٨٢ .
٤. المصدر ذاته ، ص ١٨٣ — ٢١٣ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٢١٤ — ٣١٤ .
٦. المصدر ذاته ، ص ٣١٧ — ٣٤١ .
٧. المصدر ذاته ، ص ٣٤٢ — ٣٦٢ .
٨. المصدر ذاته ، ص ٣٦٤ — ٣٧٦ .

ويبحث الدبس في تاريخ سورية الزمني في القرن الرابع عشر امور الحكام والسلاطين المماليك • ويتناول ايضا وصف حالة البلاد السورية زمن الحكم المملوكي وصفا مستفيضا .(١)

اما تاريخ سورية الديني في القرن الرابع عشر فيتضمن ترجمة لبطاركة انطاكية واورشليم وسائر المشاهير من رجال الدين السوريين .(٢) ويشمل ملحق الموارنة لهذا القرن سلسلة باسماء بطاركتهم واساقفتهم ووصفا لحالتهم الزمنية .(٣)

وبعد ان يبحث الدبس في اعمال السلاطين الذين حكموا سورية في القرن الخامس عشر ، ينتقل الى وصف حملة تيمورلنك على سورية ويتوسع في شرح اعمال سلاطين المماليك الذين حكموا سورية في هذا القرن .(٤)

وفي تاريخ سورية الديني للقرن الخامس عشر احداثا خاصة ذات اهمية كبيرة ، واهمها اتحاد كنيسة الروم بالكنيسة الرومانية .(٥) ويبحث الدبس في ملحق الموارنة قضايا تتعلق بمقدمي الموارنة ويخلص الى دحض مزاعم خصوم الموارنة واعدائهم .(٦)

اما الجزء السابع من تاريخ سورية ، فيتضمن في قسمه الزمني وصفا للفتح العثماني وحالة سورية تحت السلطنة العثمانية .(٧)

ويتناول تاريخ سورية الديني في القرن السادس عشر ترجمة لبطاركة انطاكية واورشليم وسائر مشاهير رجال الدين في سورية • ويبحث الدبس ويشرح اهم الاحداث الدينية التي وقعت في سورية في هذا القرن .(٨)

١• الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٣٨٢ — ٤٤٣ •
٢• المصدر ذاته ، ص ٤٤٤ — ٤٥٨ •
٣• المصدر ذاته ، ص ٤٥٩ — ٤٦٩ •
٤• المصدر ذاته ، ص ٤٧٠ — ٥١٤ •
٥• المصدر ذاته ، ص ٥١٦ — ٥٣٢ •
٦• المصدر ذاته ، ص ٥٣٣ — ٦٠٦ •
٧• الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٣ — ٥٩ •
٨• المصدر ذاته ، ص ٦٠ — ١٠٢ •

ويتناول الدبس في ملحق الموارنة لهذا القرن احوال حكام الموارنة واعيانهم ، ويترجم لبطاركتهم واساقفتهم ، ويصف المجامع الدينية التي عقدت في لبنان في القرن السادس عشر مبينا غايتها واهميتها .(١)

ويستهل الدبس تاريخه الزمني للقرن السابع عشر بوصف حالة سورية زمن العثمانيين ويشرح اعمال سلاطين آل عثمان ، ثم ينتقل الى تعريف المشهورين من ادباء وعلماء سورية في هذا القرن .(٢)

ويتضمن تاريخ سورية الديني ترجمة لمشاهير البطاركة والاساقفة ورجال الدين السوريين في القرن السابع عشر .(٣) ويشمل ملحق الموارنة تعريفا باعيان الطائفة ووجهائها ، وترجمة لبطاركتها واساقفتها ، ووصفا للاديرة والكنائس المشيدة في هذا القرن .(٤)

ويتابع الدبس سرد الاحداث التي حصلت في سورية زمن العثمانيين في القرن الثامن عشر ، ويترجم لمشاهير السوريين من اهل العلم والادب .(٥)

اما الجزء الثامن والاخير من تاريخ سورية فيتناول في قسمه الديني ترجمة لبطاركة انطاكية واورشليم من متحدين وغير متحدين ، واعمال مشاهير رجال الدين السوريين في القرن الثامن عشر .(٦) وفي ملحق الموارنة بحث عن اعيان وقواد وبطاركة واساقفة الموارنة ومشاهير رجال الادب والعلم عندهم . ويتضمن ايضا وصفا للمجامع التي عقدها رؤسائهم الروحيون واحصاء للمدارس والكنائس المارونية المشيدة في هذا القرن .(٧)

ويصف الدبس اعمال السلاطين العثمانيين في تاريخ سورية الزمني في القرن التاسع عشر ، ويقيم حكم الامير بشير الشهابي الكبير ويشرح حوادث لبنان الطائفية التي وقعت في منتصف القرن التاسع عشر .(٨)

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ١١١ — ١٥٨ .
٢. المصدر ذاته ، ص ١٦٢ — ٢٥١ .
٣. المصدر ذاته ، ص ٢٥٢ — ٢٧٥ .
٤. المصدر ذاته ، ص ٢٧٧ — ٣٦١ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٣٦٥ — ٤٦٤ .
٦. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٨ ، ص ٤٦٦ — ٤٨٦ .
٧. المصدر ذاته ، ص ٤٨٨ — ٦٠٦ .
٨. المصدر ذاته ، ص ٦٠٨ — ٦٨٥ .

ويترجم الدبس لبطاركة انطاكية واورشليم المتحدين وغير المتحدين .[١] وفي ملحق الموارنة ، يتحدث الدبس عن حكام الموارنة واعيانهم ، ويعّرف رجال العلم والادب الموارنة ، ويترجم لبطاركتهم واساقفتهم ، ويبحث في المجامع التي عقدها رؤساء الموارنة الروحيون ، ثم يحصي الاديار والكنائس والمدارس التي شيدت في القرن التاسع عشر .[٢]

نقد المصادر :

اعتمد الدبس على مصادر عديدة ومتنوعة في اجزاء تاريخ سورية الثمانية . ومن الاسف ان الدبس لم يلحق تاريخه بفهرس للمصادر والمراجع ، وانما بثها خلال بحوثه شتاتا . وكان احيانا يلحق بحثا او فصلا جدليا باسم مصدر اولي دون تسمية مؤلفه او يسمي المؤلف دون عنوان كتابه . ومن الطبيعي في حالة كهذه ان يغفل الدبس عن الاشارة الى سنة طبع المصدر او المرجع او مكان طبعه .

وتقسم المصادر التي اعتمد عليها الدبس من حيث الفترة الزمنية الى قسمين :

١ — مصادر ما قبل الميلاد .

٢ — مصادر ما بعد الميلاد .

وتقسم مصادر ما بعد الميلاد من حيث طبيعتها الى قسمين :

١ — المصادر الدينية .

٢ — المصادر الزمنية .

اما المصادر الدينية فهي نوعين :

١ — المصادر الاجنبية .

٢ — المصادر اللبنانية المارونية والعربية .

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٨ ، ص ٦٨٨ — ٧١٨ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٧٢١ — ٧٨٧ .

والمصادر الزمنية نوعين ايضا :

١ - المصادر الاسلامية ·

٢ - المصادر المسيحية ·

والمصادر المسيحية بعضها عربي وبعضها لبناني · وبعض المصادر اللبنانية مسيحي والاخر مسلم ودرزى ·

واعتمد الدبس ايضا على المصادر الشفهية " Oral Tradition "

ونرى الدبس يعتمد في الاجزاء الاولى من تاريخ سورية او حقبات ما قبل الميلاد ، على مصادر ثقة ومراجع يركن اليها ، خاصة ما يتعلق منها بالانسان الاول والحثيين والمصريين وغيرهم · ولكن ضعف هذه المصادر والمراجع كان في انتمائها جميعا الى مدرسة او جماعة واحدة ، هي المدرسة الدينية او الجماعة الاكليريكية والتي كانت تقّيم الاحداث التاريخية وتفسرها بطريقة خاصة ·

اما المصدر الاول فكان الكتاب المقدس ومؤلفات المؤرخين مسبرو ، ودى كارا ، وبروغش عن مصر القديمة ، ولانرمان في تاريخه للمشرق عموما والحثيين خصوصا · والاب داراس في تاريخ الكنيسة ، ويوسيفوس اليهودى في تاريخه للعبرانيين وفردنند هوشر والاب مرتين اليسوعي في تاريخهم للفينيقيين ·

والجدير بالذكر ان الدبس في الاجزاء التي تناولت حقبات ما قبل الميلاد اعتمد اعتمادا كليا على المصادر الاجنبية ·[1] خصوصا الاكليريكية منها او التي لحظ فيها ميلا لتأويل وتفسير الاحداث تفسيرا دينيا ·

---

١ · Hourani , Op. Cit. , P. 238 .

ولعل اول تحيز يقابلنا في تاريخ سورية الزمني هو تفضيل الدبس للحثيين على المصريين · واعتقد ان سبب ذلك كون الحثيين من سكان سورية الطبيعية بينما المصريون غرباء عنها او لان المصريين وهم من عبدة الالهات المتعددة حاربوا العبرانيين وهم اول من آمن بالله ومهدّوا لظهور المسيحية · فكتب الدبس تاريخ الحثيين والعبرانيين والمصريين وبحث نزاعاتهم وحروبهم ثم قيّم تلك الشعوب تقيما متحيزا محشوا بالتحامل على المصريين · واليك مثالا هذا الزعم " ··· ولما رأى رعمسيس ان اعنات العبرانيين واثقالهم بالاشغال الشاقة لا ينوله مأربه من انقاص عددهم عمد الى ذريعة اخرى فأمر قابلتي العبرانيات ان تقتلا كل ذكر يولد لهن · فأتقت القابلتان الله ولم تفعلا ، واحتجتا بان العبرانيات قويات يلدن قبل ان تدخل القابلة عليهن فبارك الله القابلتين وعمر بيوتهما فاستشاط رعمسيس غضبا وامر جميع شعبه امرا فظيعا ان يطرحوا في النهر كل ذكر يولد للعبرانيين ولم يكن الفراعنة يقدرون حياة الانسان حق قدرها تنبئنا بذلك الوف الرجال الذين كانوا يهلكونهم في بناء اثارهم ···".(١)

وهذه الحادثة غير معقولة من ناحيتين :

اولا — كان في استطاعة رعمسيس ان يستعيض عن القابلتين بغيرهما ·

ثانيا — لا تخبرنا التواريخ المعاصرة لرعمسيس عن محاولة المصريين لابادة العبرانيين بهذا الشكل الذى زعمه الدبس · وكان تاريخ الدبس للعبرانيين دفاعا عن معتقدهم وعن تصرفاتهم بشكل عام · خاصة في العصور التي سبقت ظهور المخلص ·(٢)

ونرى الدبس احيانا يدافع عن قضايا وحوادث تتعارض في جوهرها مع تعاليم الدين

١· الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٢ ، ص ٩٠ ·

٢· المصدر ذاته · وهذا الجزء باكمله تاريخ للعبرانيين وفيه شرح لاوضاعهم ودفاع عن معتقداتهم وتحيز لدعوتهم ·

المسيحي ، كدفاع الدبس عن سليمان الحكيم الذى قتل اخاه وعذره في ذلك " واذا ما راعينا عادات ايامهم لقينا معذرة لقتل سليمان اخاه ووجدنا مثلا لذلك في تلك الايام منها ما انبأتنا به الاثار الاشورية ان اشوربانيبال ملك اشور املك اخاه سولموجينا . ومن الاثار الهندية صورة الملك ادتنك زايب جالسا على عرشه يحدق به رجال دولته واحد اعوانه يطرح بين يديه راس اخيه المسمى دارا شروك مقتولا بأمره ".(١)

ولكن هذا التحيز الظاهر للعبرانيين لم يفوت على الدبس الفرصة احيانا للتقيّم التاريخي الصرف فنراه يصف حالة العبرانيين زمن سليمان وآبائه وصفا دقيقا كمؤرخ جل همه الحقيقة التاريخية وكرجل ملم الالمام التام بحالة العبرانيين السياسية والاجتماعية ، " ان احكام سليمان سياسة مملكته زاد في صحبة شعبه له ومكّن علاقاته مع محالفيه واراع مخالفيه فرقته حكمته ذرى المجد والمهابة فشاول قل ما صنع لنجاح مملكته فلم يكن له اعوان ولا اتخذ جنودا مستمرين في الخدمة الا عددا يسيرا ولم يجعل لنفسه مركزا ثابتا . وكان اذا فرغ من مهام مملكته انقطع الى الاهتمام بحقوله ولم يفرض ضريبة ولا جزية على شعبه . وداود اكسب الملك رونقا ونظاما واقام الجندية ووضع اصولا للسياسة ورتب الخدم الدينية وجعل اورشليم عاصمة للمملكة فكانت بمنزلة القلب من جسم الامة ويرجح انه لم يفترض ضرائب ولا جزية على الشعب . اما سليمان ففاق اباه وجميع ملوك امته بحكمته وتدبير مملكته وعظمت سطوته وصولته وغناه وكثرة اثاره وفخامتها ... ".(٢)

واعتمد الدبس في الجزء الثالث من تاريخ سورية الذى يتضمن تاريخ الاسكندر الكبير والسلوقيين والرومان على مصادر اولية عايشت تلك الحقبات ، كبلوتراك ، ودبودورس

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

٢. المصدر ذاته ، ص ٣٥٠ .

الصقلي ، وطيطوس، وبوليب وغيرهم • هؤلاء المؤرخون هم مصادر ثقة ولا شك • ولكن هذا لم يمنع الدبس احيانا من تسخير ادراكه وعقله لمأرب خاص، خصوصا حينما يفترض الدبس تحليلا لمظهر او حادثة دينية • ومثالا على ذلك حادثة الهيكل المقدس عند اليهود اذ كان يعتقد اليهود والدبس مثلهم ان كل من يدنس الهيكل بدخوله اليه او محاولة تخريبه عقابه الموت السريع ، " ••• وشخص هيلودوس[1] الى الخزانة بشرطه ولكن الله صرع كل من اجترأ على الدخول واخذهم بالانخذال والرعب وظهر لهم فرس عليه راكب مخيف وضرب هليودوس بحوافر يديه وترآى فتيان عجيبا القوة بديعا البهاء فوقفا على جانبيه يجلدانه جلدا متواصلا حتى اثخناه بالضرب فسقط لساعته على الارض وغشيه ظلام كثيف فحملوه الى الخارج وهو ابكم لا يبدى حراكا فبارك اليهود الرب الذى مجد قدسه وسأل بعض اصحاب هليودوس اونيا الحبران يبتهل الى العلي ليمن عليه بالحيوية اذ كان اصبح على اخر رمق وخشي الحبران يتهم اليهود بمكيدة كادوهـــا لهليودوس فقدم الذبيحة من اجل خلاصه فظهر الفتيان بهيئتهما الاولى لهليودوس وقالا له عليك بجزيل الشكر لاونيا لان الرب مّن عليك بالحياة من اجله وانت اخبر الجميع بقدرة الله العظيمة •••"•[2] وهناك الكثير من الحوادث والشواهد التي ثبتها الدبس في تاريخه ليدعم زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار •

ويستهل الدبس التاريخ الميلادى بوصف ولادة المخلص، نشأته ، تعاليمه ، لغته ، ثم صلبه • ويبحث في حقيقة الاسفار الجديدة وغيرها من القضايا التي نشأ الجدل حولها • وحاول الدبس دعم ارائه ونظرياته بحجج وبراهين استقاها من مصادر اولية ،

١• الحاكم السلوقي في سورية في ذلك الوقت •

٢• الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٣ ، ص ١٥٩ •

كقوله ان المسيح تكلم الارامية وليس اليونانية او اللاتينية كما ادعى البعض، [١] وفي ان المسيح صلب ، [٢] وغيرها من القضايا . ولكن الدبس اخطأ كمؤرخ حيث لم يترك اى مجال للنقاش او البحث حول هذه القضايا ، وعذره في ذلك كونه رجل دين يدافع عن صحة معتقده قبل ان يكون مؤرخا حياديا قصارى همه عرض القضايا وشرحها على حقيقتها ، " فما اتينا به في الكلام على صحة الاسفار المقدسة وحقيقتها وعلى شهادة اعداء المسيح له وما ذكرناه هنا من هذه الاثار ، كل ذلك بينات قاطعة دامغة علمية تبكم كل ملحد وتفحم كل مكابر في حقيقة الدين المسيحي واسفار العهد الجديد ، وهل من حقيقة تاريخية او دينية او علمية يقام على اثباتها اكثر واجلى واوكد من هذه الادلة الساطعة لعمرك ان يستحيل على كل دهرى او معتزلي او عقلي او كافر ايا كان نوع كفره اذا خلا الى نفسه ان لا يرى جليا حقيقة ما نحن له مثبتون الا ان يكونوا ممن قيل فيهم لهم عيون ولا يبصرون وعقول ولا يفهمون واذان ولا يسمعون ". [٣]

وكتب الدبس التاريخ الديني للقرن الثالث معتمدا على اوسابيوس القصرى ، وعلى ابي الفرج ابن العبرى ، وروهربخر ، ودى فوكوى من المؤرخين الدينيين .

اما ترجمته لمشاهير رجال الدين من اساقفة وبطاركة وغيرهم فقد استقاها الدبس من القديس ايرونيمس ، [٤] ومن اوسابيوس القيصرى . [٥]

واعتمد الدبس في تاريخ سورية الحضارى والاقتصادى في القرون الميلادية الاربعة الاولى على المؤرخ مومسن الالماني في كتابه تاريخ الرومان . [٦]

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٣ ، ص ٣٩٨ ـ ٤٠٧ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٨ .
٣. المصدر ذاته ، ص ٤٢٩ .
٤. المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ و ٧١ ـ ٧٢ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٥٧ و ٧٥ و ٨٠ .
٦. المصدر ذاته ، ص ١٣٩ ـ ١٥١ .

اما في تاريخه الديني لسورية في هذه القرون الاربعة فقد اعتمد الدبس على اوسابيوس القيصري الذى يلقبه الدبس بابو التاريخ الديني ، وعلى القديس ايرونيمس ، وتواريخ سقراط ، وسوزمانوس ، وتواد وريطوس ، ولكويان ، وبارونيوس .(١)

ومع بداية تاريخ القرن الخامس ميلادى بدأ الدبس يتبع تاريخ سورية بملحق في تاريخ الموارنة . وقد استهله الدبس بجزمه ان الموارنة ، "هم جماعة من السريان السوريين دانوا بالدين المسيحي مذ كان في مهده واستمروا متشبثين بعرى الديـــن الكاثوليكي لدى ثوران عواصف البدع في سورية بأرشاد القديس مارون الذى يعتبر ابا لهذه الطائفة وقد اتخذته شفيعا ".(٢) ويعتمد الدبس على المؤرخ تواد وريطس

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٤ ، ص ١٥٣ — ٢٧٣ .

٢ . المصدر ذاته ، ص ٤١٧ . وقد ايد الدبس في رايه هذا معظم المؤرخين الموارنة وقد وضع المطران الماروني يوسف دريان كتابا بهذا الخصوص هو نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان من قديم الدهر حتى الان ، مطبعة الاخبار ، مصر ، ١٩١٦ . ولكن هذا لم يمنع البعض من التشكك في صحة هذا الرأى وخاصة في اصل الموارنة وفي الزعم ان الموارنة ظلوا متشبثين بعرى الدين الكاثوليكي . واخص هؤلاء المشككين اقليمس داود رئيس اساقفة دمشق السرياني في اواخر القرن التاسع عشر واضع كتاب جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة ، ١٨٧٣ . وهو رد على كتاب المطران الدبس روح الردود . ويفند المطران السرياني في كتابه زعم الموارنة ويبرهن عن انهم لم يكونوا متحدين مع روما منذ نشأتهم كطائفة دينية وجماعة زمنية ، ويشير الى ان الموارنة انفسهم لم يجمعوا على رأى واحد فيما يختص بأصلهم . وقد ايده الفيكنت فيليب دى طرازى صاحب كتاب اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان ، بيروت (لا . ت) . وشدد دى طرازى على تبين خطأ المؤرخين الموارنة الذين يزعموا ان الموارنة كانوا على اتحاد مع روما منذ القرن السادس .

اسقف قورش، الذى كان معاصرا للقديس مارون ومجاورا له ، في تاريخ الموارنة في القرن الخامس . وقد اعتبر الدبس ان الموارنة ما انشقوا يوما عن الكنيسة الكاثوليكية اسوة بغيره من المؤرخين الموارنة التقليديين . وفي هذا غلو وتحيز وبعد عن الحقيقة ، اذ ان معظم التواريخ المعاصرة والمصادر الاولية تشير وتؤكد ان اتحاد الموارنة بروما لم يحصل قبل القرن الثاني عشر .(١)

اما مصادر الدبس لتاريخ المسلمين فكانت مصادر اولية وثقة . فقد اعتمد على تواريخ ابي الفداء وابن خلدون وابن الاثير والطبرى والقرماني في تاريخه للدولة الاموية والعباسية ، وعلى تواريخ المقريزى وابن اياس وابن تغرى بردى وغيرهم في تاريخه للمماليك .

ولكن الدبس في كثير من الاحيان اخذ نص المصدر بحرفيته دون تحريف او تبديل وثبته في الكتاب على انه له شخصيا . فظهر في تاريخ سورية تبعا لذلك اسلوبين من الكتابة وطريقتين في التأليف . اذ اننا نلحظ في احيان كثيرة تنوعا في الاسلوب واختلافا في النص . وكان اولى بالدبس ان يضع النص المأخوذ من المصدر او المرجع ضمن قوسين اوعلى الاقل الاشارة الى صاحبه .

ونلحظ ايضا ضعف الدبس في تحليله للامور والمسائل الزمنية خاصة الاسلامية بينما نراه يتجلى ويتفوق في تقييمه للقضايا الدينية المسيحية وخاصة المارونية منها . ولعل مرجع ذلك كون الدبس نفسه رجل دين يهتم في شؤون كنيسته وقضاياها في عصر لم يعرف الانفتاح الكلي على الشؤون الزمنية التي تمت الى طوائف مختلفة *

---

١ . للاستزادة حول هذا الموضوع راجع مقالة الدكتور صليبي :

" The Marenite Church in the Middle Ages and its Union With Reme " , Oriens Christianus , Vol. 42 (1958) P.P.92 - 104 .

وقد قلد الدبس المؤرخين المسلمين ونهج على غرارهم في تبويبه للاحداث الزمنية فاستهل عنوان كل فصل بكلمة ذكر ، كذكر مقتل علي بن ابي طالب ، [١] وذكر خلافة معاوية ، [٢] وذكر خلافة يزيد بن معاوية . [٣] وقد فقد تاريخ الدبس للممالك والامبراطوريات الاسلامية الصفة التحليلية والتفسيرية والتأويلية . بل كان تاريخه للمسلمين يشتمل على عرض للاحداث مستقاة من مصادرها الأولية دونما زيادة او نقصان . ولم يوضح الدبس ماهية تلك الاحداث ولم يبين غايتها . ففي تاريخه للخلفاء الراشدين نراه ينقل حرفيا عن القرماني خاصة في ذكر خلافة ابي بكر الصديق . [٤] وفي ترجمته لعمر ابن الخطاب ينقل الدبس عن ابن خلدون نقلا حرفيا دون شرح أو تفسير او توضيح لمعنى الاحداث وغايتها عصرئذ . [٥]

وقد اعتمد الدبس على ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان [٦] وعلى فوات الوفيات [٧] في تراجم من لم يشمله تاريخ ابن خلكان .

واعتمد الدبس في الجزء الخامس من تاريخ سورية الديني ، على سعيد ابن البطريق ، وابن العبرى ، ولكويان ، والسمعاني . ونرى الدبس في تاريخه الديني يفسر الاحداث ويحللها ، يناصر فئة على اخرى ، يدافع عن معتقدها ، ويهاجم الفئات الاخرى . وبعبارة

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٥ ، ص ٢٢ — ٢٣ .

٢ . المصدر ذاته ، ص ٢٣ — ٢٥ .

٣ . المصدر ذاته ، ص ٢٥ — ٢٨ .

٤ . المصدر ذاته ، ص ٤ — ٧ . والقرماني ، اخبار الدول واثار الاول ، ص ٩١ — ٩٥ .

٥ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٥ ، ص ٧ — ١٠ . وابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

٦ . شمس الدين ابو العباس احمد ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٦ ج ، حققه محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

٧ . ابو عبد الله محمد ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، مطبعة بولاق ، مصر ، ١٢٨٣ هـ .

اخرى ، نلحظ الدبس واثقا من نفسه متمكنا من مادته ، متمسكا بالدفاع عن مبدأ ومعتقد يعرفه تمام المعرفة ويؤمن به اشد الايمان . بينما نراه في تاريخه الزمني ضعيفا يقتبس عن المؤرخين المسلمين وينقل رواياتهم واخبارهم نقلا حرفيا دونما تفسير او شرح او تحليل او تقيّم . انما اكتفى بالعرض وتبيان الحقائق على علاتها . ولم يقف مع فئة ضد اخرى ، ولم يشايع طائفة على اخرى ولم يمالئ حزب على اخر ، بل قصر همه على جمع المعلومات واثباتها . وهكذا لم يحلل الدبس ولم يشرح الاحداث التاريخية مع ان عمل المؤرخ هو تقييم الاحداث وتبين ماهيتها واظهار اسبابها وشرح نتائجها وثم استنتاج تفاعلها بعد تحليل وتفسير وشرح وتوضيح واف ، وهذا ما فقده تاريخ سورية الزمني فقدا تاما ، وخاصة في تاريخ العصور الاسلامية الاولى .

ولئن ادعى الدبس بانه مؤرخ حيادي غير متحيز او مشايع لطائفة على اخرى في تحليله وتفسيره القضايا الدينية ، "وشهد الله ويعلم كل من عاشرني واطلع على دخيلتي اني والحمد لله منزه عن كل تعصب طائفي لغير الحق وهائم بالالفة والوفاق بين كل اصحاب المذاهب الدينية ايها كان كلفا بالراحة العامة والتضافر على كل ما به الحيز العام والخاص والنجاح والقوة التي لا تقوم الا بالاتحاد والخضوع للسلطة الشرعية وعليه فما ذكرته في الفصل السابق وما سأذكره الان لا يحملني عليه وايم الله الا بيان الحق يتراءى لي ويتجلى علي ولا اشاء ان انتقص ملة او احدا ايا كان بل ان اكشف عن وجه الحقيقة التاريخية كما اراها في كتب القدماء الموثوق بصدقهم ".(١)

ولكن كتب "القدماء الموثوق بصدقهم " على حد قوله هي دائما المصادر التي تنتمي الى مبدأ معين وطائفة معينة . لهذا نرى الدبس يعتمد دائما على المصادر التي تؤيد زعمه وتمده بالحجج والبراهين المطلوبة ، بينما نراه ابدا يقلل من اهمية واراء المصادر

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٥ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .

والمراجع التي لا ترى رأيه وتخالفه في معتقده وارائه .[١]

ولهذا جاء تاريخ الدبس الديني يعكس حقيقتين :

١ — اعتماد الدبس كليا على مصادر تنتمي الى مدرسة او جماعة معينة تدين بنفس الديانة وتعتقد ذات المعتقد . وفي هذا ضعف في الاستقصاء التاريخي اذ ينعدم وجود وجهات نظر متضاربة ومختلفة ولا يعود يتوفر في الرأى التاريخي عناصره الاساسية وهي الاراء المختلفة وتصبح الحقيقة التاريخية حقيقة الزامية وليس طوعية ، تفرض فرضا ولا تنتقى انتقاء ، وبذلك ينعدم ايضا عنصر المشابهة والمقارنة وثم التفضيل والاختيار بين رأيين ومصدرين مختلفين كما ويصبح التوفيق بينهما امرا صعبا .

٢ — مصادره عن الموارنة هي ايضا مصادر تنتمي الى جماعة واحدة ، هدفها المدافعة عن الايمان الكاثوليكي وتبيان تعلق الموارنة الدائم بروما وعدم انفصال الكنيسة المارونية يوما عن عرى الدين القويم . لهذا نرى الدبس يدافع عن تعلق الموارنة غير المنقطع وغير المنفصل مع البابوية . ويرد الدبس على مزاعم سعيد ابن البطريق ،[٢] وحقائق وليم اسقف صور . ويعتبر الدبس ان كلام الاسقف وليم الصورى هو كلام منتحل مأخوذ عن تاريخ سعيد ابن البطريق الذى يتهمه الدبس بالغواية والضلال .[٣] ومع ان الاسقف وليم كان معاصرا للاحداث وشاهد عيان لها ، فأن الدبس وهو من اركان مدرسة التأريخ المارونية التقليدية آثر تفنيد اراء وليم ودحضها وتبيان ضلالها . حتى ان الدبس لم يتوان عن اتهام وليم بالكذب

---

١. انظر ترجمة الدبس لسعيد ابن البطريق ، المصدر ذاته ، ص ٤٤٤ — ٤٤٥ .
انظر ايضا ترجمته لبيلاطوس ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٣٧٩ — ٣٨١ . وترجمته لنسطور وبدعته ، المصدر ذاته ، ص ٣٨٢ — ٣٨٧ . وترجمته لاوطيخا ، المصدر ذاته ، ص ٣٨٨ — ٣٩٢ .

٢. المصدر ذاته ، ج ٥ ، ص ١٩٤ .

٣. المصدر ذاته ، ص ١٩٥ .

والرياء في بحثه للقضايا المتعلقة بالموارنة ، خاصة تلك التي تدل على انشقاق الموارنة وتبرهن على انفصالهم عن روما ، (١) بينما اعتبره المؤرخ الثقة والمصدر الاول للحروب الصليبية . (٢)

وفي تاريخ الدبس الزمني للقرن الثامن ، نراه ينقل عن المؤرخين المسلمين نقلا حرفيا ، دون ان يشير الى مصدره او يسمي صاحبه . يترجم الدبس لمروان بن محمد ابن الحكم الخليفة الاموي ، " ... وهو رابع عشر خلفاء بني امية واخرهم . بويع بالخلافة في دمشق سنة ١٢٧ هـ . وهي سنة ٧٤٤ م . ولما استقر له الامر رجع الى منزله بحران وارسل ابراهيم بن الوليد المخلوع من الخلافة وسليمان بن هشام المار ذكره فطلبا منه الامان فأمنهما فقدما عليه ومع سليمان اخوته واهل بيته فبايعوه . ومن الاحداث في ايام مروان ان اهل حمص عصوه فسار من حران اليهم فسد اهل المدينة ابوابها فاحدق بها ثم فتحوا له الابواب واظهروا طاعته ثم وقع بينهم قتال فقتل من اهل حمص خلقا كثيرين وهدم بعض اسوارها وصلب جماعة من اهلها ولم ينته من اخضاعهم الا وجاء الخبر بان اهل غوطة دمشق ثاروا عليه وولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وحصروا دمشق فارسل مروان عشرة الاف فارس مع ابن الورد بن الكوثر وعمر ابن الصباح . ولما وصلوا الى قرب دمشق حملوا على اهل الغوطة وخرج من بدمشق عليهم ايضا ، فانهزم اهل الغوطة ونهبهم العسكر واحرقوا المزة وقرى غيرها ... " (٣)

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ - ٢١٣ .
٢ . المصدر ذاته ، ص ٢٣ - ٣٤ .
٣ . المصدر ذاته ، ص ٢٢٦ . انظر ابو الفداء ، اخبار البشر ، ص ٢٠٧ .

وقد نقل الدبس ايضا نقلا يكاد يكون حرفيا عن ابن خلكان وصلاح الكتبي في ترجماته لمشاهير السوريين من رجال العلم والادب والسياسة . قال الدبس في ترجمته لابي العلاء المعرى ، " هو احمد بن عبدالله بن سليمان من قضاعة التنوخي وكنيته ابو العلاء اللغوى الشاعر قرأ النحو واللغة على ابيه وعلى محمد بن عبدالله بن السعد النحوى بحلب وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة وله من النظم لزوم ما لا يلزم وهو كبير يقع في خمسة اجزاء ، وله سقط الزند ايضا وقد شرحه بنفسه وسماه ضو السقط وقال ابن خلكان بلغني ان له كتابا سماه الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف وهو يقارب مابة جزء . وحكى من وقف على المجلد الاول بعد المابة من كتب الهمزة والردف وكان علامة عصره ولد سنة ٣٦٣ هـ . بالمعرة ... ولقب بالتنوخي نسبة الى تنوخ ومعناه الاقامة وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديما بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك فسموا تنوخا وقبيلة تنوخ احدى القبائل الثلاث نصارى العرب وهم بهرا وتنوخ وتغلب ".(١)

وقال ابن خلكان في المعرى ، "احمد بن سليمان ابو العلاء المعرى ... كان متضلعا في فنون الادب ، قرأ النحو واللغة على ابيه بالمعرة ، وعلى محمد بن عبدالله بن سعد النحوى بحلب ، وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة ، وله من النظم "لزوم ما لا يلزم" ، وهو كبير يقع في خمسة اجزاء او ما يقاربها ، وله "سقط الزند" ايضا وشرحه بنفسه ، وسماه "ضو السقط" . وبلغني ان له كتابا سماه الايك والغصون ، وهو المعروف بالهمزة والردف ويقارب المابة جزء في الادب ايضا ...".(٢)

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٥ ، ص ٤٧٧ — ٤٧٩ .

٢. ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

واخذ الدبس ترجماته لبعض المشاهير الذين غفل عنهم ابن خلكان عن صلاح الكتبي كترجمته لبهاء الدين ابن النحاس الحلبي ، " هو محمد ابن ابراهيم الامام العلامة حجة العرب بهاء الدين بن النحاس الحلبي النحوى شيخ العربية للديار المصرية • ولد بحلب سنة ٦٢٧ هـ • وتوفي بالقاهرة سنة ٦٩٨ هـ • اخذ العربية عن جمال الدين بن عمرون ودخل مصر لما خربت حلب وتخرج به جماعة من الايمة • وكان من اذكياء بني ادم وله خبرة بالمنطق واقليدس مشهورا بالدين والصدق والعدالة • وكان له صورة كبيرة في صدور الناس معروفا بحل المشكلات واقتنى كتبا نفيسة ولم يتزوج قط • وقيل عنه انه كان كثير التلاميذ كثير التذكر كثير الصلاة يسعى في مصالح الناس وكان لا يكلم احدا الا بلغة العوام لا يراعي الاعراب ولا يكاد يأكل شيئا وحده • وكان ينهي عن الخوض بالعقائد الاولى ، ولى التدريس بجامع ابن طولون بالقبة المنصورية ولم يصنف شيئا الا املاء على كتاب المغرب لابن عصفور من اول الكتاب الى باب الوقف • • • ". (١)

اما ترجمة الكتبي لابن النحاس الحلبي فهي ، " هو محمد ابن ابراهيم بن محمد بن ابي نصر الامام العلامة حجة العرب بهاء الدين ابن النحاس الحلبي النحوى شيخ العربية بالديار المصرية • ولد في سلخ جماد الاخر سنة سبع وعشرين وستمائة بحلب وتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة بالقاهرة وقرأ القرآت على ابي عبدالله الفاسي واخذ العربية عن جمال الدين بن عمرون ودخل مصر لما خربت حلب واخذ عن بقايا شيوخها ثم جلس للافادة وتخرج به جماعة من الائمة وكان من اذكياء بني ادم وله خبرة بالمنطق واقليدس مشهورا بالدين والصدق والعدالة مع اطراح الكلفة يمشي في الليل بين القصريين بقميص وطاقية على رأسه فقط وكان حسن الاخلاق فيه ظرف النحاة وانبساطهم وكانت له اوراد من العبادة قال قطب الدين عبد الكريم كان كثير التلاميذ كثير الذكر كثير الصلاة

---

١ • الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ •

ثقة حجة يسعى في مصالح الناس لا يدخر شيئا وكان عنده من الطلبة من يأكل على مائدته وكان لا يكلم احدا في حل النحو الا بلغة العوام لا يراعى الاعراب ... لا يكاد يأكل شيئا وحده ، وكان ينهى عن الخوض في العقائد .ولي التدريس بجامع ابن طولون بالقبة المنصورية وله تصدير بمصر ولم يصنف شيئا الا املاء على كتاب المغرب لابن عصفور من اول الكتاب الى باب الوقف ....". (١)

ويستهل الدبس الجزء السادس من تاريخ سورية بكلام مسهب عن الحروب الصليبية ، اسبابها ، تطورها ، ونتائجها . اما مصادره عن هذه الحروب فتقسم الى قسمين :

١ — المصادر المسيحية الموالية للحملات المؤيدة لها .

٢ — المصادر الاسلامية الشاجبة للحملات المهاجمة لها .

ومن مصادر الفئة الاولى المؤرخون كوردان ، وليم الصورى ، وريمون دى اجيل وغيرهم ممن دعاهم الدبس بالمؤرخين الافرنج . وقد اعتمد الدبس غالبا على اقوالهم مجتمعين دون تسمية او اعلان كلام كل واحد منهم على حدة كوصفه مثلا حالة الصليبيين في انطاكية ابان حصار المسلمين لها ، " ... واما ما رواه المؤرخون النصارى فهو ان الافرنج بعد ان دخلوا انطاكية عكفوا على الطرب والقصف واقامة المراقص ونسوا الله الذى اسبغ عليهم امانة ولكن ما لبث الطرب ان تولاه الكرب ، فانهم منذ اليوم الثالث بعد دخولهم المدينة شاهدوا من اعلى الاسوار فرسانا ترمح نحو المدينة ومن ورائهم حشد غطت جحافله شواطئ العاص ....". (٢)

واذا ما اردنا التحقق من صحة هذا الكلام فلا نقدر ان نرجع الى مصدر معين واحد لان الدبس لم يحدد ولم يسم مصدره وانما جعل كلامه على لسان "المؤرخين النصارى" مجتمعين .

---

١ . الكتبي ابو شاكر ، فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

٢ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٢٠ .

اما المصادر الاسلامية لهذه الحروب فهي تواريخ ابو الفداء وابن الاثير وابن خلدون .(١)

ولم يكن موقف الدبس من هذه الحروب حياديا . ونستشف ذلك من القائه اللوم على المسلمين وجعلهم مسببين تلك الحروب داعين لها . ونلاحظ ان تحليله لاسباب تلك الحروب هو تحليل سطحي ، اذ يعزوا سبب الحملات الصليبية الى معاملة المسلمين ، اصحاب القدس وحكام سورية ، السيئة وغير العادلة للحجاج المسيحيين ، مع ان الدبس ، وهو من مؤرخي القرن التاسع عشر كان في وضع يسمح له باستجلاء حقائق تلك الحروب اذ ان الاسباب الحقيقية والمتعددة للحروب الصليبية كانت قد شاعت وعلم الناس ان الحملات الصليبية لم تكن مجرد حملات دينية وحسب ، بل كان لها مآرب سياسية وغايات تجارية ايضا . ولكن الدبس وهو المؤرخ المسيحي ذو الميول الكاثوليكية آثر ان يكتفي بالاسباب الدينية فقط ، "ان تاريخ سورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مثالات يتمثل بها كل عاقل ليلزم السلم والوفاق وينكب عن الخصام والخلاف . فجل احداث تاريخ هذين القرنين او كلها حروب ومغالبات على مدن سورية خاصة بين الافرنج الذين اكثروا من الحملات حينئذ على بلادنا وبين المسلمين الذين كانوا يلون هذه البلاد . ولو اقتدى بعض المسلمين بابي بكر الصديق في الرفق بالنصارى كما اوصى غزاته الاولين او بعمر بن الخطاب اذ لم يشأ ان يصلي في كنيسة القدس لئلا يقول المسلمون بعده هنا صلى عمر او تركوا النصارى وما يدينون كما امروا لنجا المسلمون والنصارى من غوائل الحروب التي خربت هذه البلاد مدة قرنين ولكن قام في مصر الخلفاء الفاطميون ونازعوا الخلفاء العباسيين الولاية على سورية واذاقوا النصارى الامرين بعد ان كانوا يترفون بعدالة هرون الرشيد واولاده واحفاده . وقام من العلويين الحاكم بأمر الله نعذب النصارى واليهود وبعض

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٣١ .

المسلمين ايضا ودك معابدهم حتى احرق كنيسة قبر المسيح ومنعوا النصارى من ان يحجوا الى القدس الا ان يدفعوا ضريبة فاحشة فلم يصبر احبار رومة رؤساء الدين المسيحي وملوك النصارى بالمغرب على هذا الاعتداء ودعتهم فروضهم الدينية الى العناية بتأمين النصارى بسورية ومصر واخذ مذ ذاك الحين في الاهتمام بتأمينهم من الاضطهاد ووقاية معابدهم من الخراب الى ان تألبت في اخر القرن الحادي عشر جموع النصارى بالغرب وسارت الى المشرق ". (١)

ولئن اعترف الدبس بلوم الفرنج على سوء تصرفهم وشجارهم وخصامهم مع بعضهم البعض مما سبب ضعفا لهم ، فهو لا يعزوا سبب انكسارهم وانخذالهم الى حالتهم الرديئة ومنازعاتهم المتكررة ، وانما يعتقد ان الهزيمة جاءت نتيجة ارادة الهية تفوق معرفة ومدارك البشر ، " ... فكأن الله قيض للفرنج هذا الانخذال بغامض حكمته واسرار عنايته المتعالية عن مدارك الناس وهو يرفع من يشاء ويذل من يشاء ومن كان له وزيرا او مستشارا ليدرك كنه مقاصده الرفيعة ". (٢)

وفي هذا القول بعد عن التحليل المنطقي والتفسير العقلي . لقد انمزجت الحقيقة التاريخية عند الدبس بعالم ما ورائي ، حيث عزا نتيجة حتمية منطقية الى سبب الهي غير حسي لا مجال للجدال او البحث بصحته .

وهكذا لم يعد التأريخ عند الدبس منطلقا لكشف الواقع التاريخي وانما اصبح وسيلة للدفاع عن معتقد ومبدأ ، وبعبارة اخرى اعتبر الدبس التأريخ وسيلة لخدمة غاية دينية وليس نتيجة يعتمد عليها ويركن اليها في سبر اغوار الماضي واستجلاء حقيقته وجعل هذا الماضي مقياسا ووسيلة لفهم الحاضر وعبرة في تأمل وانتظار المستقبل .

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٣٠٩ .

ونرى الدبس في تاريخه الديني للقرن الثاني عشر يعير موضوع الشقاق الماروني اهتماما خاصا . فهو وان اعترف بأمر النزاع والشقاق فقد رفض الاقرار بأن وحدة الكنيستين المارونية والكاثوليكية تحققت في هذا القرن . وقد اعتمد الدبس في جعل سبب النزاع ونتيجته طفيفا لا اهمية له على مرهج بن نيرون الباني وهو من اعلام الموارنة في القرن السابع عشر .(١) وقد اعتمد مرهج في مقالته المعنونة "مقالة في اصل الموارنة ، اسمهم ودينهم "،(٢) على ابن القلاعي الذى ادعى ان توما اسقف كفرطاب هو الذى اطغى بعض الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة حتى ان البطريرك (لم يذكر ابن القلاعي ولا مرهج بن نيرون ولا الدويهي ولا الدبس، وهم من اركان مدرسة التأريخ المارونية التقليدية ، اسمه) جنح الى ذلك . ويورد الدبس الحادثة بأختصار (٣) نقلا عن مرهج بن نيرون ، بقوله ان اكثرية الموارنة ظلوا على ايمانهم الكاثوليكي لهذا لم يعودوا ينقادوا الى البطريرك بل انهم عزلوه عن مقامه بالقوة وانتخبوا بطريركا اخر (لم يسمه الدبس) مكانه . فحنق اصحاب البطريرك المعزول وقتلوا البطريرك الجديد . وبعد قتل البطريرك الاخير تعاظم الخلاف وتفاقم الامر بين جماعتي الموارنة فتدارك ايميريكس بطريرك انطاكية اللاتيني امرهم وسكن روعهم واخمد جذوة غضبهم . ثم اتفق الموارنة جميعا على انتخاب بطريرك صحيح المعتقد .(٤)

---

١. ولسيرة مرهج بن نيرون راجع : Graf, Op. Cit., P.P. 359 - 361 .
والدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٣٤٢ — ٣٤٤ .

٢. وهذه المقالة لا تزال مخطوطة ، يوجد نسخة منها في الفاتيكان ونسخة اخرى في بكركي .

٣. ومن عادة الدبس ان يتجاهل المصادر التي لا ترى رأيه ، ويسقط الحوادث التي لا تؤيد مزاعمه . واذا لم يستطع ذلك فأنه يوردها بأيجاز ويحاول التقليل من اهميتها قدر الامكان .

٤. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

ونستنتج من كلام الدبس ان :

١ — يعتقد الدبس ان هذا الصراع بين جماعتي الموارنة لم يكن عميقا بل عابرا ولم يؤثر على علاقة الموارنة بروما ، بل بقي ولائهم على حاله ·

٢ — يجزم الدبس بأن اقلية من الموارنة شايعت الضلال وتبعت تعاليم توما اسقف كفرطاب ، وبعبارة اخرى ، بقيت اكثرية الموارنة على معتقدها الصحيح ·

٣ — يعتمد الدبس على مصادر تنتمي الى مدرسة واحدة ومعتقد واحد هو المعتقد الكاثوليكي ·لهذا لم يتصد الدبس لكلام وليم الصورى الذى اوضح باسهاب حقيقة الصراع والشقاق الماروني · وجل ما قاله الدبس بهذا الصدد هو تثبيت جواب لكويان لوليم من ان بعض الموارنة وليس جميعهم رذلوا المعتقد الكاثوليكي ·(١)

ولكن الاسقف وليم الصورى الذى عايش تلك الحوادث يناقض رأى المؤرخين الموارنة التقليديين ويجزم بأن سنة ١١٨٢ اى سنة انتهاء الشقاق كانت سنة تحول الموارنة كطائفة الى المعتقد الكاثوليكي ، وبكلام اخر ، يجزم بأن الموارنة لم يكونوا على اتحاد مع روما قبل هذا التاريخ ·(٢) ويصف وليم حادثة الشقاق ، " وفي هذا الوقت عندما كانت مملكة اورشليم تنعم برفاه سلم موقت ··· كان شعب من السوريين القاطنين ناحية فينيقيا ، قرب الجبل اللبناني الذى يسكن البلاد قرب مدينة جبيل ، قد بدأ بتغير معتقده · ولقرابة الخمسمائة

---

١ · الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ١٩٢ ·

٢ · Bernard Ghebaira Al - Ghaziri , Rome Et L'Eglise Syrienne - Maronite 517 - 1531 , Impremerie des Belles Lettres , Beyreuth , 1906 , P.P. 181 - 184 .

ويناقش الغزيرى اقوال ابن البطريق ووليم الصورى ويفند ارائهم ويدافع عن تعلق الموارنة بروما ويجزم بأن الموارنة لم يتركوا الايمان الكاثوليكي القويم يوما بل ظلوا متشبثين بعرى هذا الايمان ·

سنة كان هذا الشعب يعتنق مبدأ رجل زنديق يدعى مارو ومنه اخذ هذا الشعب اسمه الموارنة . وقد انفصل هذا الشعب عن الكنيسة وعن المؤمنين واعتنقوا بدعة غريبة . ولكن الان ، وبألهام رباني ، عادوا الى حظيرة الحق ورذلوا غيهم وضلالهم واعترفوا بسلطة ايميريكس بطريرك انطاكية اللاتيني ، وهو الثالث الذى يترأس هذه الكنيسة ، واعلنوا الرجوع عن ضلالهم وخضعوا لكنيسة الكاثوليكية . لقد اعتنقوا الايمان القويم وهم مستعدين للتقيد بجميع شروط وتقاليد هذا الايمان . اما بدعتهم فكانت بالاساس الايمان بأرادة واحدة ومشيئة واحدة وزادوا عليها بعض الهرطقات والبدع . اما الان فقد ندموا على غيهم كما بينا آنفا وعادوا الى حظيرة الكثلكة تحت رئاسة بطريركهم والعديد من مطارنتهم ...". (١)

ولكن الدبس اسوة بغيره من اتباع مدرسة التأريخ المارونية التقليدية كأبن القلاعي ، والبطريرك اسطفان الدويهي ، ومرهج بن نيرون الباني ، والبطريرك اسطفان عواد ، والبطريرك بولس مسعد ، والمطران د ريان ، والارشمندريت ديب ، والاب غزيرى ، وغيرهم رفضوا هذا الرأى واعتبروا اتحاد الموارنة وروما قائما منذ القرن السادس اى منذ وجود الموارنة ككنيسة وشعب . وفي هذا دلالة على ان الدبس كان يدافع ولا يعرض ، انه كان رجل دين قبل ان يكون مؤرخا .

ونلاحظ ان الدبس في الجزء السادس من تاريخ سورية بدأ يعتمد على مصادر لبنانية يأخذ منها حوادث لبنان واخباره ، كأبن القلاعي ، والدويهي ، والسمعاني ، (٢) وصالح ابن

---

١. William of Tyre , History of Deeds Done Beyond the Sea (Translated by E,A, Babcock) Vol. I , NewYork , 1943 , P.P. 456 - 458 .

راجع ايضا مقالة الدكتور صليبي :

" The Maronite Church in the Middle Ages and its Union with Rome " , Oriens Christanus , Vol. 42 (1958) P.P. 92 - 104 .

٢. اسطفانوس عواد السمعاني ، فهرست المكتبة الشرقية ، روما ، ١٧١٩ .

يحي،[١] وابن سباط .[٢]

ونقل الدبس عن ابن عربشاه ،[٣] وابن اياس،[٤] والشرقاوى ،[٥] وابن تغرى بردى ، والمقريزى في تاريخه الاسلامي عن الفترة الايوبية والمملوكية ·

واخذ الدبس عن مصادر عربية اسلامية كالقرماني والاسحاقي ،[٦] وعن مصادر مسيحية لبنانية كالدويهي ، والشيخ طنوس الشدياق ، والامير حيدر الشهابي ، وعن مصادر مصرية كمحمد فريد بك ،[٧] في تاريخه للعهد العثماني ·

واستقى الدبس ترجماته لمشاهير العلماء والادباء السوريين في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر من كتابي حاجي خليفة[٨] وادوارد فان ديك ·[٩] ولكن الدبس في

---

١ · صالح ابن يحي ، كتاب تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بنو الغرب ، (نشره لويس شيخو) بيروت ، ١٩٢٧ ·

٢ · ابن سباط " تاريخ ابن سباط " · ولا يزال مخطوطة ، يوجد منه نسخة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت تحت رقم ٩٥٦٠١ ، ١١٣ ·

٣ · احمد بن محمد ابن عربشاه ، عجائب المقدور في اخبار تيمور ، المطبعة العثمانية ، القاهرة ، ١٣٠٥ هـ ·

٤ · ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ·

٥ · عبد الله الشرقاوى ، تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين ، القاهرة ، (لا · ت) ·

٦ · محمد الاسحاقي ، اخبار الدول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول ، المطبعة الازهرية ، القاهرة ، ١٣١١ هـ ·

٧ · محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مطبعة محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٨٩٦ ·

٨ · مصطفى ابن عبد الله حاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، استانبول (لا · ت) · وقد ترجم غوستاف فلوغل الكتاب الى اللاتينية ، بنتلي ، لندن ، ١٨٣٥ — ١٨٥٨ ·

٩ · كرنيلوس ، ادوارد فان ديك ، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من اشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية (صححه وزاد عليه محمد علي الببلاوى) ، ادارة الهلال ، القاهرة ، ١٨٩٦ ·

احيان كثيرة نقل عن مصادر اولية مع شيء من التحريف دون تسمية مصدره او الاشارة اليه .
ومثالا على ذلك قارن رواية الدبس لمقتل الامير قرقماس والد فخر الدين الثاني الكبير مع رواية
الشدياق : قال الدبس، " وفي سنة ١٥٨٤ وثب جماعة من الازديا على حاملي خزينة
السلطان في جون عكار وانتهبوا المال فصدر الامر الى جعفر باشا الطواشي والي طرابلس
ان يجمع العسكر من ساحل البحر من صيدا الى حمص ويصادر يوسف باشا بن سيفا الذى
كان قد عزل عن طرابلس واقام في عكار واحرق كثيرا من قراها ورفع جعفر باشا الشكوى الى
السلطان بأن الامير محمد ابن الامير منصور عساف وامراء بلاد الدروز انما هم الذين نهبوا
الخزينة فصدر الامر الى ابراهيم باشا والي مصر ان يجمع العساكر من حلب والشام ومصر
فجمعها وقطع البحر والبقاع على الدروز وارسل يطلب الغرماء من الامير قرقماس بن معن
فحضر الى ابراهيم باشا الامير محمد بن جمال الدين من عرمون الغرب وابن عمه الامير منذر
من عبيه والامير محمد بن عساف من غزير واستسلموا الى الوزير . فلما رأى الامير قرقماس بن
معن ان باقي الامراء انصرفوا عنه وامسى منفردا هرب الى مغارة في ناحية جزين فأختباء بها
واصابه مرض اودى به الى الموت وكان له ابنان فخر الدين ويونس . ولما بلغ الوزير انهزام
الامير قرقماس سار في عسكره الى عين صوفر واستدعى اليه عقال الدروز فحضروا وقتل منهم
خمسة مئة رجل ثم صار الى طرابلس وصحبة الامراء الذين استسلموا اليه فمضى بهم الى
الاستانة العلية فاكرمهم السلطان وانعم عليهم وقرر كلا منهم الى بلاده ...". (١)

اما رواية الشدياق فهي ، " وسنة ١٥٨٤ لما نهبت خزنة السلطان مراد في جون
عكار امر السلطان ابراهيم باشا والي مصر ان يجمع العساكر من مصر وقبرص ودمشق وحلب
ويحضر لمقاصة آل سيفا وامراء لبنان فحضر ونزل في مرج جموش تحت زحلة وارسل يطلب
الغرماء من الامير قرقماس ومسك طريق البحر والبقاع على الدروز وقتل خلقا كثيرا . فخاف
الامير قرقماس وفر الى مغارة تيرون التي تحت جزين وتوفي فيها وله ولدان صغيران الامير

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٣٣ — ٣٤ .

فخر الدين والامير يونس . واما ابراهيم باشا عندما بلغه فرار الامير قرقماس نهض بعسكره الى عين صوفر فتقدم اليه عقال دروز الشوف وقدموا له تقادم ليرضى عنهم . ولما اراد النهوض من هناك غدر بهم وقتل منهم نحو ستماية رجل وثم اعتقل الامراء الذين قدموا اليه اولا . اما ابراهيم باشا فسار بالامراء المعتقلين الى اسلامبول فبرروا ذواتهم فأمر السلطان باطلاقهم فرجعوا الى بلادهم ...." (١)

وقد استعان الدبس بالدويهي في تاريخه للموازنة واخذ عنه معظم الحوادث والاخبار ، ولكنه كعادته في معظم الاحيان لم يشر الى مصدره وانما اورد الحوادث والمعلومات على انها مستقاة من ذهنه . فنرى الدبس مثلا في تاريخه للمقدمين الموازنة يورد حوادث سنتي ١٥٧٣ و ١٥٧٤ ، " وبعد مقتل رزق الله تولى المقدمية سنة ١٥٧٣ اخوه داغر عساف بن موسى اخيهما من قبل الامير منصور بن عساف وارسل الامير رجالا قتلوا موسى وداود ابني شلندي من بشرى في حمى المقدم رزق الله . وقيل انهما عملا على قتل صهرهما وخاف اقارب بني شلندي فنزلوا الى طرابلس وشكوا المقدم داغر بأنه تسبب بقتل نسيبهم فطيب نائب اطرابلس خاطرهم ولما ارسل جابي المال الى بشرى امره بقتل المقدم داغر وبعد ان جبى مال القرية ركب حصانه وطعن المقدم داغر برمحه فقتله . ثم ان الامير عساف قتل المقدم عساف ابن اخي داغر وولى على جبة بشرى ابا سلهب القريعي وكان ذلك مخالفا لرضى ابي منصور حبيش مدير الامير منصور . وفي سنة ١٥٧٤ وقعت النفرة بين ابي سلهب القريعي المذكور وانسبائه وبين البشرانية وقتل القريعية رجلين من بشرى عند العين التي تحت بقاعكفرة وقدمت الشكوى الى الامير منصور فعزل الامير منصور ابا سلهب القريعي بتدبير الشيخ ابي منصور حبيش عن مقدمية الجبة وولى مكانه مقلد بن الياس واشترك معه في الولاية الشدياق يوسف ابا رعد المعروف بخاطر ابن الشدياق وشاهين الحصروني من بيت مشروق واما اهدن فكان ثلاثة شمامسة يدبرون امورها ...." (٢)

---

١ . الشدياق طنوس ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ .
٢ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ١١٣ — ١١٤ .

وروى الدويهي تاريخ هاتين السنتين ، " سنة ١٥٧٣ عندما قتل رزق الله مقدم بشراى تولى المقدمية اخوه داغر عساف بن موسى اخوهما من قبل الامير منصور . فارسل الامير قوما كبسوا داود وموس ولدى شلندى البشراني وقتلوهما وكان هذان في حمى المقدم رزق الله ويقال انهما عملا على قتله . ثم ان ذوى قرابة شلندى ذهبوا الى اطرابلس وشكوا المقدم داغر بأنه تسبب بقتل اولاد شلندى فطيب صاحب السنجق خواطرهم وامر الشوباجي الذى ارسله الى بشراى في جمع المال ان يقتل المقدم داغرا . ولما ان استوفى الشوباجي المذكور المال وركب حصانه وهم بالعودة طعن المقدم داغرا بالرمح فقتله . وبسبب هذه الاحوال ارسل الامير منصور فقتل المقدم عساف بن موس وسلم جبة بشراى الى ابي سلهب القريعي وذلك من غير رض ابي منصور حبيش . وفي سنة ١٥٧٤ حدث في جبة بشراى خصومة بين القريعين والبشرانية فقتل القريعية منهم اثنين عند العين الي تحت بقاع كفرة . فقدمت الشكاية الى غزير بسبب القتلى . اما الامير منصور فعزل القريعية بأيعاز ابي منصور ابن حبيش عن ولاية الجبة وسلمها الى المقدم مقلد ابن الياس . وكان شريكه الشدياق يوسف ابي رعد المسمى خاطر وهو ابن الشدياق شاهين الحصروني من بيت مشروق واما اهدن فكان تدبيرها مسلما الى ثلاثة شمامسة ".(١)

ونرى الدبس في تاريخه الزمني للقرن التاسع عشر يعتمد كثيرا على تاريخ الامير حيدر الشهابي الذى يعد مصدر ثقة للاحداث اللبنانية في هذا القرن لانه كان شاهد

---

١ . الدويهي اسطفان ، تاريخ الطائفة المارونية ، ص ١٧٤ — ١٧٥ . وقد عثر الخور اسقف بولس قرألي على نبذة مخطوطة بالكرشونية بين اوراق يوسف السمعاني المحفوظة في المكتبة الفاتيكانية وعنوانها "مقدمو جبة بشرى ١٣٨٢ — ١٦٩٠ ". وهي تؤلف الاوراق ٢٢٥ — ٢٣٠ من السجل الموسوم برقم ٧٢٥٨ من مجموعة السجلات الفاتيكانية اللاتينية وعلى هوامشها ارقام الصفحات بالخط الافرنجي وهي بيد الدويهي الذى اورد تاريخ سنتي ١٥٧٣ و ١٥٧٤ في كتاب الخور اسقف بولس قرألي ، الموارنة في لبنان اقدميتهم واسرهم ، مطبعة المرسلين اللبنانية ، جونية ، ١٩٤٩ ، ص ٨٤ — ٨٥ .

عيان لمعظمها ومطلعا بحكم مركزه السياسي والعائلي على جميع الامور والحوادث المهمة التي وقعت في لبنان ومشتركا في بعضها احيانا . ولكننا نلحظ في تاريخه احيانا تحيزا ومشايعة بالنسبة الى حكم الامير بشير الشهابي الكبير ومرد ذلك كون الامير حيدر من خلصاء الامير بشير ومن المقربين اليه .

وقد نقل الدبس عن الشهابي في اماكن عديدة وان لم يعترف بذلك . قارن على سبيل المثال رواية الشهابي لعامية جبيل المعروفة بعامية لحفد برواية الدبس ." ... ثم انه في شهر ذي العقدة سار الامير بشير من قرية حمانا الى بلاد جبيل وطلب الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ابو سلما العماد والشيخ ناصيف ابو نكد والشيخ ابراهيم تلحوق والشيخ شبلي عبد الملك ان يوافوه الى نهر الكلب . ثم سار بمن معه الى نهر ابراهيم وبات هناك . وعند الصباح حضر الى الامير تخبير من ولده قاسم الذى كان في قرية لحفد ان جميع اهالي تلك البلاد مظهرين العصاوة ولم يوردوا الاموال الميرية . حينئذ سار الامير بمن معه من نهر ابراهيم طالبا قرية لحفد وعند وصوله الى قرية غرفين الي هي في شرقي عمشيت اخبروه ان اهالي تلك القرايا مجتمعين في قرية شامات ومرادهم يمنعوا الامير من العبور في الطريق . فغضب الامير من تجاسرهم ولكن اظهر الحلم عليهم وارسل اناس يتهددهم وينذرهم من ذلك التجاسر ويعدهم بالرحمة وانه لا يطلب منهم الا كما اخذ من بلاد الشوف والمتن . ثم سار الامير في طريقه الى ان وصل الى قرية لحفد ونزل تجاه القرية قرب الماء . ثم اجتمعوا اهالي البترون واهالي بلاد جبيل والبعض من اهالي كسروان الى قرية حاقل . واجتمعوا اهالي جبة بشرى الى قرية اهمج . واجتمع المتاولة الى راح مشمش واتفقوا جميعا على العصاوة واقاموا لهم من كل مقاطعة اناسا بالوكالة على باقي الجميع ومثلما يريدوا هؤلاء الوكلاء فلا يخالفوهم بشيء كمثل ما كان تدبيرهم قبلا في اجتماع انطلياس . وابتدأت المراسلات ما بين الامير وبينهم فطلبوا

اولا انهم لا يوردوا سوى مال واحد وجالية واحدة وان الذى وردوه الى الامير حسن والامير سلمان يكون من اصل ذلك • فالامير جاوبهم ان اوليك الامرا طلبوا منكم مالين وجاليتين وارتضم بذلك فاوردوا الان الباقي عندكم عما طلبوه الامراء والذى اردتموه لهم اخصموهم من الاصل • فلم يرتضوا بذلك وصمموا على العصاوة وارسلوا الى الامير صورة شروط لا تطابق المعقول ...".(١)

وروى الدبس الحادثة مع بعض التحريف والتغير ، " ... ثم سار الامير الى بلاد جبيل وطلب الامير سلمان يكون بخدمته فأبى الاجابة فكتب الامير حسن الى الامير سلمان يستغويه بمقاومة الامير بشير وممالئة الجبيليين الذين كان قد بلغه هياجهم عليه فانقاد لرأيه • ولما بلغ الامير بشير الى نهر ابراهيم ورد له كتاب من ابنه الامير قاسم ان اهل جبيل اظهروا العصيان وانكروا دفع المال المرتب وبلغه ان اهل كسروان طردوا الجباة وكاتبوا اهل بلاد جبيل يشجعونهم فقام الامير الى غرفين فأتاه الخبر بأن اهل تلك الجبة مجتمعون بشامات يريدون قطع الطريق له فغضب وارسل يتهددهم وينذرهم وكتب الى الشيخ بشير جنبلاط وغيره من المشايخ ان يلحقوه برجالهم وبقي سائرا الى لحفد فاجتمع في حاقل اهل بلاد جبيل والبترون وبعض من كسروان واتى رجال جبة بشرى الى اهمج وجمهر متاولة بلاد جبيل في راح مشمش وراسلوا الامير بانهم لا يدفعون الا مالا واحدا وجزية واحدة وصمموا على العصيان وطلبوا شروطا لا يقبلها العقل ...".(٢)

ومن الاهمية بمكان التنويه بأن الدبس لم يعد يذكر مصادره ولو بشكل عام في الجزء الثامن والاخير من تاريخ سورية الا لماما • واعتقد ان سبب ذلك يعود الى كون

---

١ • الامير حيدر احمد الشهابي ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، (نشره اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) ج ٣ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ ، ص ٦٨٥ •

٢ • الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٨ ، ص ٦٣٤ •

الدبس معاصرا لاحداث القرن التاسع عشر مطلعا على اخبار سورية وحوادثها في هذا القرن . لهذا نراه في الجزء الثامن يشرح بتفصيل ويعرض بأسهاب . ونلحظ ايضـــا اهتمام الدبس في القضايا الدينية والزمنية وشغف في تفسير غوامضها على حد سواء وخاصة في الشؤون والامور المتعلقة بلبنان والموارنة .

المصادر الشفهية " Oral Tradition " .

وقد اعتمد الدبس ايضا على الروايات والاخبار التي استقاها شفهيا من رجال عصره . ولم يكن الدبس بذلك سباقا بل ان معظم التواريخ العربية واللبنانية اعتمدت هذه الوسيلة في استقصاء الخبر . ويعتقد الدكتور بولك ان المصادر الشفهية اساسية بالنسبة الى التاريخ العربي ، بل انها تفوق اهمية المصادر والمراجع المكتوبة .(١) ونرى تأثير المصادر الشفهية واضحا ايضا في التواريخ اللبنانية ،(٢) وفي كتابات الدبس حيث نراه يعتمد على اقوال معاصريه واخبارهم ، "وقد سمعت مرات من الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد الشهير بمعرفته تاريخ ملتنا رواية ملخصها ...".(٣)

---

١ . William R. Polk , The Opening of South Lebanon , 1788 - 1840 , Harvard University Press , Cambridge , Massachusetts , 1963 , P. 231 .

٢ . راجع كتب العقيقي انطون ، ثورة وفتنة في لبنان ، الحتوني منصور ، نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية ، الشهابي حيدر ، الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان ، الشدياق طنوس ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، وغيرها ، فترى ان هؤلاء المؤرخين يعتمدون احيانا كثيرة على مصادر شفهية .

٣ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٧ ، ص ٢٧٩ .

ويعتقد المؤرخ الافرنسي ج . سوفاجيه "ان علم التاريخ عند العرب قام بالاساس بالاعتماد على المصادر الشفهية ليس لانهم افتقروا الى الابجدية ولكن لاسباب تتعلق مباشرة بنظامهم الاجتماعي ووضعهم النفسي ". (١)

ومن الواضح ان التاريخ العربي واللبناني يختلفان اختلافا بينا عن التاريخ الاوروبي حيث لا تتمتع المصادر الشفهية بهذا المقدار من الاهمية . (٢)

---

١ . J. Sauvgent , Introduction a L'histoire de L'orient Musulman , Elements de Bibliographie , Paris , 1946 , P. 24 .

٢ . Polk , Op. Cit. , P? 251 .

٦ — موقف الدبس من الامبراطورية العثمانية والقومية العربية

بدأ الشرق يتعرف على القيم والمفاهيم الغربية كالحرية والقومية والمساواة بعد الحملة النابوليونية على مصر وانتشار تعاليم الثورة الفرنسية في الشرق .(١)

---

١. Hans Kohn, History of Nationalism in the East , George Rentledge and Sons , London , 1929 , P. 271 .

وقد بحث رئيف خوري في كتابه الفكر العربي الحديث ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٤٣ ، اثر الثورة الفرنسية في توجيه الفكر العربي السياسي والاجتماعي . والكتاب مراجعة تاريخية لحوادث الثورة الفرنسية ومفاهيمها .
وفي رسالة من خلدون الحصري صاحب كتاب ، ثلاثة مصلحين — دراسة في الفكر السياسي العربي الحديث ، الصادر بالانكليزية عن مؤسسة خياط للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ ، الى "ملحق النهار" عنوانها "ليس لحملة نابوليون كل هذه الاهمية" ، وهي رد على نقد الدكتور صادق جلال العظم للكتاب ، نرى الحصري يقلل من اهمية الحملة النابوليونية على مصر ، "... يقول الدكتور العظم انني اخترت غزو نابوليون لمصر عام ١٧٩٨ كنقطة انطلاق لوصف الخلفية الثقافية والحضارية التي نتج عنها الفكر السياسي العربي الحديث ، وهذا صحيح . ولكن لا اعتقد انني شددّت على اهمية هذه الغزوة لانها تمثل حدثا حضاريا هاما بالاضافة الى خطورتها السياسية ذلك الحين . انني فعلت العكس ، فقد اظهرت ان اتصال العالم العربي بالغرب لم ينقطع وانه سابق للحملة النابوليونية على مصر وان هذه الحملة لم تكن لها كل هذه الاهمية التي اسبغها عليها الكتاب والمؤرخون الفرنسيون . وان من الخطا القول انها حملت الى مصر ، وبالتالي الى العالم العربي المفاهيم السياسية والاجتماعية الجديدة كالوطنية وغيرها . ولكن اختياري للحملة الفرنسية كان لاضطرار كل مؤرخ الى اختيار تاريخ او حادث معين يبدأ به الفترة التي يؤرخ لها او يكتب عنها . والحملة الفرنسية على مصر ، ان لم تكن قد حملت اوروبا والغرب الى العالم العربي ، فلا شك اننا نستطيع ان نؤرخ منها تبدل العلاقات القائمة بين هذا العالم وبين الغرب ...." (راجع "ملحق النهار" ، عدد ٩٤٧٦ (١٩٦٦) ص ١٣ . وكتاب ثلاثة مصلحين ، ص ٧ . =

اما سوريا فقد بدأت فيها النهضة الفكرية والسياسية والاجتماعية نتيجة اصلاحات محمد علي باشا والي مصر الذى حكم سوريا باسمه ابنه ابراهيم قرابة التسع سنين .(١)

ومن ناحية اخرى نرى تأثير الارساليات الاجنبية في بعث النهضة الثقافية والاجتماعية واضحا ايضا .(٢)

= ويقلل الدكتور محمد يوسف نجم من اهمية الحملة النابوليونية ويعزو اسباب النهضة العربية عامة والمصرية خاصة في القرن التاسع عشر الى اقتداء محمدعلي باشا وغيره من المصلحين الشرقيين بالاصلاحات العثمانية التي بدأت في مطلع القرن الثامن عشر مع السلطان احمد الثالث (١٧٠٣ — ١٧٣٠) . راجع مقالة الدكتور نجم "انماط لافتة في سير النهضة الحديثة" ،الابحاث ،ج ٣ و ٤ (ايلول — كانون اول ١٩٦٦) ص ٣٧٥ .

١. George Antenius , The Arab Awakening , Khayat's College Book Coperative , Beirut , 1955 , P.P. 29 - 30 .

وقد بين سليمان ابوعز الدين في كتابه ،ابراهيم باشا في سورية ،ص ٣١٥ ، تأثير الحملة المصرية على الفكر القومي في سوريا . اما بيريه (   ) في كتابه ، سوريا تحت حكم محمد علي ،الصادر بالفرنسية ،فتطرق الى النواحي الاجتماعية والاقتصادية .

٢. بدأت وفود المرسلين الكاثوليك تفد الى البلاد السورية اثر اصدار البابا اوربانوس الثامن اوامره سنة ١٩٢٥ اليهم بالذهاب الى الديار الشامية والتبشير فيها . نوفد المبشرون الكاثوليك — الكرمليون والكبوشيون واليسوعيون واللعازاريون عليها ، (لويس شيخو ،المشرق ،ج ٣ (١٩٠٠) ص ٤٨٤ — ٤٨٥) . وتبعهم المبشرون الانجيليون في اوائل القرن التاسع عشر . وكان هناك نفور مستحكم بين المبشرون الكاثوليك والبروتستانت جعلهم يتسابقون الى فتح المدارس وتعميم الثقافة ،فافادت البلاد من تلك المضاربة الثقافية ،

(Bliss , Op. Cit. , P. 91 . Also , Jessup , Op. Cit. , P. 211 . Also , Antenius , Op. Cit. , P.P. 35 - 44)

ويعتقد مؤرخ القومية الدكتور هانس كون (Kohn) ، ان العنصر الماروني كان سباقا الى احياء هذه النهضة واستيعاب المفاهيم الغربية وخاصة فهم معنى القومية بشكلها الحديث .(١) ويرجع ذلك الى علاقة الموارنة بروما الوطيدة وخاصة بعد تأسيس "المدرسة الشرقية المارونية" في روما عام ١٥٨٤ . ومن اهم خريجيها الصهيوني والحصروني والرزى في القرن السادس عشر ، والباني والحاقلاني والدويهي في القرن السابع عشر ، والسمعاني وفرحات في القرن الثامن عشر .(٢)

وظهرت النهضة في اول مراحلها كنهضة ثقافية هدفها احياء اللغة العربية والتراث العربي .(٣)

وبتأثير الحملة المصرية والارساليات الاجنبية التي ساعدت على فتح المدارس وتعميم الثقافة في جميع الاماكن التي وصلت اليها تلك الارساليات وانشاء المطابع ونشر الكتب والنشرات الدورية ، اصبح باستطاعة معظم الناس قراءة اشياء جديدة تساعدهم

---

١. Kohn , Op. Cit. , P. 268 .

٢. انظر "نوابغ المدرسة المارونية الاولى" ، المشرق ، ج ٢٢ (١٩٢٤) ص١١٧ ، ٣٤١ ، ٤٣٨ ، ٥٨٦ ، ٧٠٨ .
وفي كتاب الدكتور كراف :
Geschichte Der Christlichen Arabischen Literature , Vol. III .
سلسلة تراجم هؤلاء الادباء والمفكرين الموارنة .

٣. انيس المقدسي ، العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث . ويتضمن الكتاب مجموعة بحوث تبحث في النهضة الثقافية واثرها على النهضة العربية عامة . وفي كتاب الدكتور كمال يازجي ، رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث ١٨٠٠ — ١٩٠٠ ، سلسلة مقالات مشابهة لبحوث المقدسي .
انظر ايضا : Kohn . Op. Cit. , P. 269 .

على فهم التطور والتقدم الذى يحصل حولهم .(١)

وكنتيجة لهذه النهضة الثقافية اخذ المثقفون ينشئون الحلقات ويؤسسون الجمعيات التي كان لها تأثير عظيم على بروز الشخصية القومية .(٢) اما هدفها المباشر فكان محاربة الامية والجهل ونشر العلم والثقافة .

الجمعيات :

سأقصر بحثي في هذا المجال على الجمعيات الثلاث الاوائل مبينا اهدافها موضحا بأيجاز اهميتها على الصعيد القومي .

"جمعية العلوم والفنون" او "الجمعية السورية" :

تأسست سنة ١٨٤٧ في بيروت بمساعي المبشر الانجيلي عالي سميث وغايتها نشر العلوم والمعارف . ومن اهم اعضائها المعلم بطرس البستاني وكان امينا للسر وناصيف اليازجي مسؤولا عن المكتبة وكرنيلس فان ديك . وقد عمرت هذه الجمعية خمسة سنين . اما طريقة الاجتماع فكانت بتلاوة عضو من الاعضاء تقريرا او بحثا ثم يدور النقاش حوله . اما اهمية هذه الجمعية فهي "انها كانت الاولى من نوعها في سوريا وفي العالم العربي".(٣)

---

١. يورد لويس شيخو في مقالته ، "تاريخ فن الطباعة في المشرق" ، المشرق ، ج ٣ ، (١٩٠٠) ص ٣١٩ — ٣٢٠ و ٥٠٢ — ٥٠٣ ، اخبار انتشار المطابع في لبنان وتأثيرها على النهضة الثقافية . وفي مقالة فؤاد افرام البستاني "الحياة العقلية في لبنان قبل مائة عام" ، المشرق ، ج ٢٧ (١٩٢٩) ص ٢٧٩ و ٣٦٧ ، مراجعة تاريخية للحالة الثقافية في لبنان في القرن التاسع عشر .

٢. Antonius , George , Op. Cit. , P.P. 51 - 54 .

ويبحث انطونيوس في نشوء الجمعيات والنوادى وتأثيرها على الاوضاع الاجتماعية والحالة السياسية في لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

٣. Ibid. , P. 52 .

وفي كتاب انطونيوس بحثا مستفيضا حول هذه الجمعيات ، تأسيسها ، منهاجها ، غايتها ، واثرها على المجتمع العربي .

"الجمعية المشرقية " :

اسسها اليسوعيون سنة ١٨٥٠ بمساعي الاب هنرى دى برونيار · ومعظم اعضاء هذه الجمعية مسيحيون اهتموا باحياء التاريخ السورى القديم · ونرى في جدول اعمالها ان معظم جلساتها كانت تدور حول مواضيع تاريخية ·[١] ومع ان تأثير هذه الجمعية السياسي كان ضعيفا لا اهمية له ، فقد اثرت على المفهوم القومي والسياسي تأثيرا كبيرا ، حيث ان اعضائها المؤرخون دافعوا عن فكرة وجود سوريا كوضع جغرافي وكيان سياسي متكامل · واتجه اعضائها اتجاها دينيا في معالجتهم للقضايا وتأويلهم للاحداث وتقييمهم للتاريخ ·[٢]

" الجمعية العلمية السورية " :

تأسست سنة ١٨٥٧ · وقد قامت في اعقاب "الجمعية السورية "الاولى وانما اختلفت عنها في انها ضمت بين اعضائها المائة والخمسين عددا من مختلف الطوائف والملل لاول مرة في تاريخ البلاد الحديث · ويعتقد جورج انطونيوس ان تأسيس الجمعية بهذا الشكل اشار بوضوح الى ظهور الروح الوطنية واليقظة القومية ، حيث بدأ المسلمون والمسيحيون يعملون لقضية واحدة وهدف مشترك ·[٣]

ولاول مرة ايضا ظهرت بوادر انفصالية وبدأ العرب يتحسسون ظلم الاتراك ويطالبون بدولة ووطن عربي · وقد تجلى هذا الشعور بقصيدة الشيخ ابراهيم اليازجي المشهورة ، حيث خاطب اليازجي امة العرب كافة ودعاها الى الوحدة وبين فضل العرب على الترك

١· راجع مقالة يوسف اليان سركيس "الجمعية المشرقية في بيروت" ، المشرق ، ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٣٦ ·

٢· المصدر ذاته ، ص ٣٦ — ٣٧ ·

٣· Antenius, George , Op. Cit. , P. 54 .

وميز بين الشعبين وفضل الاول على الثاني وعدد مساوىء الترك ومظالمهم ، وحث العرب على استجلاء ماضيهم العريق مشيرا الى امجادهم الغابرة وحضاراتهم المضمحلة ، داعيا الى بعثها واحياءها من جديد .(١)

ولا بد لنا في هذا المجال من البحث ولو قليلا في الحالة السياسية والشعور الوطني الذى كان سائدا في اواسط القرن التاسع عشر .

لم يكن المسلم العربي يشعر بانه غريب في الامبراطورية العثمانية لانه كان يعتقد ويؤمن بان الامبراطورية العثمانية كانت امبراطورية اسلامية قبل ان تكون تركية ، فهي دولة دينية اذا جاز التعبير وليس دولة عنصرية . لهذا كانت تتساوى فيها القوميات والعناصر ، على الاقل نظريا ، يجمعها وحدة الدين ووحدة الهدف ، فكان من الطبيعي اذا ان يمنح المسلم العربي السلطة الحاكمة ولائه التام وخضوعه .(٢)

---

١. Ibid. , P.P. 54 - 55 .

وفي كتاب سليم سركيس ، سر مملكة ، مصر ، ١٩٠٥ ، ص٧٣ — ٧٤ ، تاريخ هذه الجمعية مع القسم الاكبر من القصيدة ومطلعها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طما الخطب حتى غاصت الركب

ومن الاهمية بمكان الاشارة الى ان معظم الكتب والنشرات الدورية التي كانت تصدر وتطبع في بيروت في الحقيقة كان يوضع عليها انها طبعت في مصر خوفا من الرقابة التي كانت مشددة ازاء الاراء الوطنية والافكار التحررية . ومثالا على ذلك كتاب سر مملكة الذى طبع في بيروت ، وكتاب فيليب قعدان الخازن ، لمحة تاريخية في استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح العثماني سنة ١٥١٦ ، مطبعة الاخبار ، مصر ، ١٩١٠ . والحقيقة ان هذا الكتاب طبع في مطبعة الارز ، جونيه ، لبنان .

٢. Zeine Zeine , Op. Cit. , P. 45 .

ولكن الامر كان مختلفا تمام الاختلاف بالنسبة الى المسيحي حيث كان يعامل كرجل يعيش على هامش الوجود السياسي والاجتماعي مقيد الحقوق محدد الواجبات • فلم يكن يحق له الانخراط في الجيش ولا التملك في اراضي الامبراطورية العثمانية ولا تسنم مركز رسمي مرموق • ومع ذلك فلم تراود افكارهم فكرة التحرر والاستقلال بالمفهوم المطلق .(١)

ولكن مع انتشار الثقافة وتأسيس الجمعيات وانشاء المطابع واصدار الصحف والمجلات نتيجة الاحتكاك مع الغرب واصلاحات محمد علي باشا وانتشار الارساليات الاجنبية وتعميم الثقافة ، تعرف حديثو الثقافة من العرب على مفهوم الحرية والقومية والامة والوطـــــن والديمقراطية والعدالة والمساواة والاخاء وغيرها من الشعارات والمفاهيم المستوردة من الغرب • وبدأت هذه النخبة الطليعية بالمطالبة بالاصلاح السياسي والاجتماعي والديني ، والدعوة الى التحرر والانعتاق من الظلم والاستبداد .(٢)

ومع اعلان الدستور سنة ١٨٧٦ عم الفرح البلاد السورية وابتهج الناس بقرب الاصلاح المنشود • ولكن السلطان عبد الحميد ما لبث ان علق الدستور والغى الحريات واقام عهدا

---

١ . Ibid. , P. 40 .

ويعتقد الدكتور زين ان القومية العربية مع ما دعت اليه من اراء تحريرية واظهرت من بوادر انفصالية ، فهي اولا واخيرا ، قامت كردة فعل وكنتيجة معاكسة لظهور القومية التركية الطورانية المشددة ازاء العناصر غير التركية والداعية الى المركزية وحصر السلطة بايدي العنصر التركي واخضاع العناصر العثمانية غير التركية الى سياسة من التتريك •

٢ . رئيف خوري ، اثر الثورة الفرنسية ، ص٧٨ ـ ٩٦ • ويبحث المؤلف في مدى انتشار تعاليم الثورة الفرنسية والاراء الغربية في الشرق عامة واثرها على المفكرين والادباء العرب خاصة •

اعتبره دعاة القومية مضرا بمصالحهم ومطاليبهم .[١] وعندما نفى السلطان عبد الحميد مدحت باشا "أبو الدستور" ومن ثم امر باغتياله ايقن الاحرار والقوميون ان عليهم المحاربة والنضال في سبيل حريتهم وقوميتهم .[٢]

ومن اوائل الذين بدأوا بمحاربة العهد الحميدى ومهاجمته رزق الله حسون الحلبي الذى غادر سوريا زمن السلطان عبد العزيز الى اوروبة واخذ يندد بالحكم التركي ونظامه الفردى الاستبدادى . واصدر سنة ١٨٧٩ جريدة في لندن تصدر مرة كل اسبوعين تحت عنوان "حل المسألتين الشرقية والمصرية" وهي اول مجلة شعرية لانها كانت تصدر كقصائد تبحث هذه المواضيع .[٣]

---

١ . George M . Hadad , Revolution and Military Rule in the Middle East , Robert Speller and Sons , N.Y. 1965 , P.P. 45 - 47 . See also, Bernard Lewis , The Emergance of Modern Turkey , Oxford University Press , London , 1962 , P.P. 165 - 167 .

ويعتقد الدكتور لويس ان عبد الحميد وافق على اعلان الدستور ليس كايمان منه بضرورة الاصلاح وانما لتمويه الدول الاوروبية التي ارادت التدخل بانه جاد في تطبيق الاصلاح .

٢ . راجع مقالات الشيخ مصطفى الغلاييني في "لسان الحال" عدد ٥٧٧٢ (٢٦ تموز ١٩٠٨) وعدد ٥٧٧٥ (٢٩ تموز ١٩٠٨) فترى النبرة الوطنية ظاهرة .وفي مقالات الشيخ مصطفى الغلاييني وهو من وجهاء المسلمين البيروتيين مراجعة تاريخية للفكرة القومية ويظهر من روح المقالات مدى تأثر المفكرين الوطنيين المسلمين بنزعة الاصلاح والمساواة بين العرب والترك . انظر ايضا :

Hassan Saab , The Arab Federalists of the Ottoman Empire , Djambatan - Amsterdam , 1958 , P.P. 213 - 225 .

٣ . Hourani. A., Arabic Though in the Liberal Age , Oxford University Press , London , 1962 , P. 270 .

ومنهم ايضا الدكتور شاكر الخوري وله كتاب طريف فيه الاحاديث والاخبار المختلفة والهدف منه التسلية واعطاء بعض المعلومات . ولكن المهم فيه نظرة المؤلف الى الاوضاع السياسية . ففي اخر صفحة من كتابه نراه يختتم القول "من اعظم توفيقات كتابي مجمع المسرات انتهاء طبعه في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ في اليوم العظيم الذي نشر فيه الدستور ونودي بالحرية فيكون حبل به في الظلم وولد في الحرية ، وقهرا عن ذلك فهو في تأليفه حر قبل الحرية ".(١)

ومن المفكرين الذين تأثروا بالحضارة والتقدم الاوروبي فرنسيس فتح الله مراش الحلبي . ففي كتابه غابة الحق نراه عميق التأثر بما بلغته فرنسا من التقدم والرقي ، ويعزو مراش الفضل في ذلك الى الثورة الفرنسية مع ما دعت اليه من المساواة والحرية والاخاء ، لذلك نراه قوى الايمان بفوز العدل والحرية وانتصار العلم والعقل .(٢)

ومن الذين دعوا الى محاربة الظلم والاستبداد الحميدي وبشر بالاصلاح سليم سركيس . وهو بيروتي نزح الى مصر مع رفاقه الاحرار وهناك اصدر جريدة "المشير" وكان شعارها محاربة الاستبداد والدعوة الى الحرية والعدالة . ونشر سليم سركيس كتابه سر مملكة وفيه بين اسباب موت عبد العزيز وجنون مراد ومحاكمة مدحت باشا وجرائم عبد الحميد وندد بحكم الاخير تنديدا قاسيا . ويعتبر سليم سركيس من اشد الوطنيين تطرفا واعنفهم على الاطلاق ، ويتميز باسلوب هجومي ومنطق ثوري جعلاه يرى في شخص عبد الحميد عدو الحرية الاول ويعتبر الدولة العثمانية ينبوعا للظلم والحقد والتأخر والجهل .(٣)

---

١. الدكتور شاكر الخوري ، مجمع المسرات ، مطبعة الاجتهاد ، بيروت ، ١٩٠٨ ، ص ٦٧٥ .
٢. فرنسيس فتح الله مراش ، غابة الحق ، بيروت ، ١٨٨١ ، ص ١٢ .
٣. سليم سركيس ، سر مملكة ، مصر ، ١٩٠٥ ، ص ٤٣ .

ومنهم ايضا عبد الرحمن الكواكبي وهو حلبي من اصل كردى نزح الى مصر حيث حرر في جريدة "المنار" وكان يحضر حلقات المصلح الاسلامي الشيخ محمد عبده .[١] وقد الف كتابين هما طبائع الاستبداد ،[٢] وام القرى .[٣] وقد دعا الكواكبي الى محاربة الاستبداد الحميدى وانشاء خلافة عربية مركزها الحجاز ، واقامة مجلس شورى يساعد الخليفة العربي القريشي في تدبير الامور الدينية .[٤] ومن اقوال الكواكبي في الاستبداد ، "وخلاصة القول ان الاستبداد اشد وطأة من الوباء ، واكثر هولا من الحريق ، واعظم تخريبا من السيل ، اذل للنفوس من السؤال . داء اذا نزل بقوم سمعت ارواحهم هاتف السما ينادى القضاء القضاء والارض تناجي ربها بكشف البلاء . الاستبداد عهد اشقى الناس فيه العقلاء والاغنياء ، واسعدهم بمحياه الجهلاء والفقراء ، بل اسعدهم اولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسدهم الاحياء ".[٥]

ولا بد من التنويه ان المفكرين والمصلحين المصريين لم يتحسسوا الظلم الحميدى ولم يؤيدوا المفكرين والمصلحين السوريين في نضالهم ومطاليبهم امثال الشيخ محمد عبده ، احمد رضا ، وخاصة مصطفى كامل ومرد ذلك الى ثلاثة اسباب :

---

١. Hourani. A , Op. Cit. , P. 271 .

٢. عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، حلب ، ١٩٥٧ .

٣. عبد الرحمن الكواكبي ، ام القرى ، القاهرة ، ١٩٣١ .

٤. Hourani. A , Op. Cit. , P. 275 .
See also , Al - Husari Khaldoun , Op. Cit. , P. 8 .

٥. الكواكبي عبد الرحمن ، طبائع الاستبداد ، ص ٩٣ .

١ — لم يكونوا يشعرون بالظلم والاستبداد الحميدي ، وهم بدورهم كانوا يرزحون تحت ثقل الاستعمار البريطاني .(١)

٢ — كانوا يعتبرون انفسهم امة تامة تختلف عن الامة السورية . لذلك لم يتحسسوا مشاعرها ولم يؤيدوا قضاياها .(٢)

٣ — كانوا وهم الداعون للوحدة الاسلامية والاصلاح الاسلامي يرون في وحدة الامبراطورية العثمانية ما ينشده المسلمون من تضامن وتماسك .(٣)

اما مركز الاحرار المناهضين للسلطات التركية ونفوذها فكان العواصم الاوروبية بوجه عام وباريس بوجه خاص .(٤) ففيها اجتمع معظم الوطنيين الهاربون من وجه السلطة العثمانية واقاموا الحلقات واصدروا الصحف المهاجمة للحكم التركي .

---

١. J. M. Ahmed , The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism , Oxford University Press, London , 1960 , P. 28 .

٢. وفي مقالة بعنوان " هل السوريون عرب " ، الهلال ، ج ١٧ (١٩٠٩) ص٤٢٥ — ٤٣٠ ، يناقش " الهلال " صحة هذا الرأي . ويعتبر ان السوريين هم غير المصريين . ويقسم السوريين الى قسمين : المسلمين والمسيحيين . اما المسيحيون فهم " ... ليسوا عربا من حيث النسب وان كان فيهم شيء من دم العرب بل هم اخلاط من امم شتى " ، ص٤٢٩ . ولطالما اطلق مصطفى كامل لقب " الدخلاء " على السوريين الذين كانوا متهمين بغالبيتهم بالتواطؤ مع الخديوي وسلطات الاحتلال البريطاني .

٣. Ahmed . Op. Cit. , P. 29 .

٤. اليازجي كمال ، رواد النهضة الحديثة في لبنان الحديث ، ص٣٢ .

ومن اوائل هؤلاء الاحرار نجيب عازوري • وهو مسيحي كاثوليكي درس في فرنسا ثم اشتغل معاونا لحاكم القدس وما لبث ان ترك عمله وسافر الى فرنسا سنة ١٩٠٤ • وهناك وضع كتابه يقظة الامة العربية الصادر بالفرنسية •(١) واسس عصبة الوطن العربي في السنة نفسها •(٢) ويندد العازوري في كتابه بسياسة عبد الحميد تنديدا فظيعا ويكشف عن العديد من جرائم هذا النظام ، ويبحث في سياسة الدول الاوروبية في الشرق ودعايتها الدينية والطائفية •(٣)

ويدعو العازوري الى استقلال العرب عن الترك الذين سببوا تأخر العرب واعاقوهم عن التقدم • ويجزم العازوري انه لولا الترك لكان العرب في طليعة شعوب العالم مدنية وحضارة • ولذلك وجب على العرب وعلى غيرهم من الامم الخاضعة للسيطرة التركية محاولة الانفصال والاستقلال •(٤)

ويدعو العازوري ايضا الى انشاء امبراطورية عربية ممتدة من دجلة والفرات شرقا الى قناة السويس غربا ، ومن البحر المتوسط شمالا الى بحر عمان جنوبا • ويتولى عليها سلطانا عربيا مسلما ولكن مقيدا بالدستور القائم على حرية الاديان ومساواة جميع المواطنين امام القانون • ويكون الحجاز مقرا لخليفة عربي — وهنا التقى العازوري بالكواكبي — ويتمتع كل من لبنان واليمن ونجد باستقلال داخلي •(٥)

١• N. Azeury , Le Reveil de la Nation Arabe , Paris , 1905 .

٢• Kohn , OP. Cit. , P. 273 .

٣• Ibid. , P. 274 .

٤• Azeury, Op. Cit. , P.P. 210 - 211 .

٥• Ibid . , P.P. 245 - 246 .

وقد كانت كتابات افراد هذه العصبة وافكارها مشابهة في الجوهر وان اختلفت في الشكل احيانا عن كتابات العازوري وافكاره .(١)

اما تأثير الافكار والاراء الصادرة عن افراد هذه العصبة فكان محدودا وذلك :

١ — لان معظم افراد هذه العصبة كانوا يعيشون في المهجر بعيدين عن موطن الاحداث .

٢ — لان معظمهم ايضا كتب وعبر عن ارائه باللغة الفرنسية . فمن الطبيعي ان لا تصل مبادئهم الى سواد الشعب العربي الذى لم يكن يتقن هذه اللغة .

٣ — يمثل افراد هذه العصبة اقلية مسيحية متنورة ، لذلك لم تخترق افكارهم وارائهم حصون العقلية الاسلامية التقليدية وهي عقلية الاكثرية العظمى من الشعب العربي المسلم الذى كان متعلقا بوحدة امبراطوريته العثمانية ويريد بقائها .

ويواجه هذا التيار الاستقلالي المتحرر تيارا اخر يدعو الى التعلق بوجود الامبراطورية العثمانية ويؤمن بعثمانيته ، ويعتقد بان جميع الناطقين بالعربية والتركية يؤلفون شعبا واحدا وحكومة واحدة . ومن اشهر من يمثل هذا التيار السياسي من المفكرين والادباء والشعراء ، سليم تقلا ، ابراهيم الاحدب ، يوسف الاسير ، جرجي زيدان ، فارس نمر ، ناصيف اليازجي ، فرح انطون ، خليل سركيس ، يوسف الحكيم وغيرهم كثيرين .(٢)

---

١ . ومن هؤلاء المفكرين والادباء :

H. Ganem , Les Sultans Otteman , 2 Vol. Paris , I90I .

K.T.Khairallah , Les Regions Arabes Liberees , Paris , I9I9 .

٢ . المقدسي انيس ، العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث ، ص٥ — ٨ .

وقد نزع افراد هذا التيار الى اعتبار الامة العثمانية والشعب العثماني امة وشعبا واحدا متكاملا ويفخرون احيانا بانتمائهم الى هذه الامة . وكان جل مطلبهم يقتصر على طلب الاصلاح وتحقيق العدالة واقامة المساواة في الحقوق والواجبات بين العنصرين التركي والعربي من ناحية ، والمسلم والمسيحي من ناحية اخرى ، ولكن ضمن جدران الامبراطورية العثمانية . وبعبارة اخرى لم تراود افكار افراد هذا التيار نزعات انفصالية او بوادر استقلالية .(١)

ولعل افضل من يمثل هذا التيار خليل سركيس ، وهو مسيحي بيروتي اصدر جريدة "لسان الحال" وكانت تنطق بلسان هذه الفئة الى حد كبير . وفي خطبة في حفلة عامة نرى سركيس يحث البيروتيين على التعلق بعثمانيتهم "فيا بني الوطن الذين تشربون ماء واحدا وتستنشقون هواء واحدا وتظللكم راية واحدة ويجمعكم وطن واحد وبلاد واحدة ، فما الداعي الى التفرق والشقاق والانقياد الى ترهات وخرافات ما انزل الله بها سلطان فنحمدكم لانكم نبذتم من بينكم الضغائن واسباب التنافر وعرفتم ان لكم دولة عظيمة الشأن قوية البنيان يفتخر بماضيها ويذكر بلسان الثناء حاضرها ، وان لها سلطانا عظيما لم يسبق له مثيل بين السلاطين العظام فلنكن لسانا واحدا يدعو بتوفيقه ".(٢)

ويعتقد انيس المقدسي بان الادب السياسي في البلاد العربية ما عدا مصر كان متلبسا بملابس المجاملة او التزلف الى السلطان ورجال دولته ، وذلك اما رهبة من السلطان او رغبة في نيل رضاه وكسب مودته .(٣)

---

١. اليازجي كمال ، رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث ، ص١٣ - ١٤ .

٢. "لسان الحال" ، عدد ٥٧٧٦ (٣٠ تموز ١٩٠٨) .

٣. المقدسي انيس ، العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث ، ص٨ .

وقد عبر معظم افراد هذا التيار عن هذه النزعة مرارا . لاحظ كيف يبرهن خليل سركيس ان دستور سنة ١٩٠٨ منح بارادة السلطان عبد الحميد دون ان يجبر على ذلك ، وهو بذلك يتغاضى عن حركة ضباط الجيش المنتمين الى " جمعية الاتحاد والترقي " والتي اليها يعود الفضل في اجبار عبد الحميد على اعادة الدستور واطلاق الحريات ، " لو كتبنا بماء الذهب ارادة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم القائلة بتنفيذ القانون الاساسي ومباشرة انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان لما قمنا بما يجب على العثماني الصادق من الشكر لولي نعمته . ولو كتبنا بالمهج تلك الارادة الشريفة الصادرة من اشرف من على البسيطة لما وفيناها حقها من التجلة والاعتبار . اجل تلك ارادة صادرة من ينبوع الكرم والجود ارادة ولي النعم الذى طوق جيد الممالك العثمانية بعقود الالاء وقيدها بعرشه المقدس. ارادة انعشت قلب كل عثماني . ارادة صيرت الجبان شجاعا والشجاع اسدا وكلاهمـــا يسفكان دمهما على مذبح الصبغة العثمانية الا وهي شجاعة الشعب العثماني الذى يتفانى في ارتقاء حكومته ويسهل عليه كل صعب في طاعة مولاه ".(١)

وينفي خليل سركيس حقيقة نشوب ثورة دامية سنة ١٩٠٨ ، حتى انه لا يعترف بوجود حركة اصلاحية ، " ان نعمة الدستور فاضت علينا من مراحم الحضرة السلطانية منة غير منتظرة لان التاريخ لم ينقل الينا ان امة نالت الدستور والمجلس النيابي الا بعد ما اجرت في سبيلهما الدماء وقاست من اجلهما الصناف البلاء وضروب الفناء . اما نحن فقد نلنا الاثنين معا من غير ان نضطر الى ثورة نضرم نارها او فتنة نثير غبارها . وانما ظفرنا بالدستور الذى نشدناه زمنا طويلا ونلناه من فضل المراحم السلطانية منة عزت مثيلها ....".(٢)

---

١. " لسان الحال " ، عدد ٥٧٧٣ (٢٧ تموز ١٩٠٨) .

٢. " لسان الحال " ، عدد ٥٧٧٨ (١ آب ١٩٠٨) .

ولكن لهجة خليل سركيس ومحتوى مقالاته تتغير تغيرا جذريا بعد ثورة سنة ١٩٠٩ الرجعية وثم الثورة المضادة التي خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه . فنرى " لسان الحال " بعد ذلك تهاجم العهد الحميدى مهاجمة شعواء وتتغنى ببطولة الانقلابيين وشجاعتهم امثال انور وطلعت وجمال ، وتشيد بالعهد الجديد وتدعو الناس الى الانخراط في " جمعية الاتحاد والترقي " . انظر " لسان الحال " ، عدد ٥٩٣٢ (٢٨ و ٢٩ نيسان ١٩٠٩) .

ويمثل يوسف الحكيم هذا التيار ايضا وهو الوحيد من افراد هذه الفئة الذى لا يزال على قيد الحياة ٠ وينتمي الحكيم الى اسرة مسيحية ارثوذكسية من اللاذقية ٠ تعلم في المعهد الاميركي في اللاذقية ودرس الحقوق وعين قاضيا سنة ١٩٠٤ ٠ وتنقل في مراتب القضاء في القدس ويافا وطرابلس ٠ وفي سنة ١٩١٣ تسلم رئاسة القلم التركي بحكومة جبل لبنان وهي وظيفة تعادل وظيفة رئيس الوزراء على حد زعم يوسف الحكيم نفسه ٠(١) ويدافع يوسف الحكيم عن الحكومة العثمانية وينفي مزاعم متهميها بالتحيز والتفريق بين عناصرها المؤتلفة ، "لم اشعر اثناء دراستي في معاهد الدولة ولا اثناء ممارستي الوظائف في محاكمها ودوائرها باى فرق في الحقوق والواجبات بيني وبين غيرى من الموظفين ٠ وقد تجلت هذه المساواة في الحوادث التي مرت بي في اللاذقية ويافا والقدس وطرابلس وجبل لبنان ، ورأيت في كل منها عدل الحكومة ومساواتها بين جميع رعاياها دون تفريق بين عناصرهم ومعتقداتهم ٠ وهل من دليل على ذلك ابلغ من انصاف رجالها في الوزارة والادارة النائب العام العربي المسيحي في طرابلس ضد خصمه المتصرف التركي ، فاحتفظت بالاول ونبذت الثاني وساقته الى القضاء ، فهل ترى اعظم من هذه العدالة بين الاوروبيين الذين يتسابقون على كسب ودنا ومحالفتنا".(٢)

---

١٠ يوسف الحكيم ، سورية والعهد العثماني ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، (لا ٠ت) ص١٠ ٠ وقد كتب المؤلف سيرة حياته بنفسه ٠

٢٠ يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد ال عثمان ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، (لا ٠ت) ص٣٠٤ ٠

ويؤمن يوسف الحكيم بعدالة القضاء التركي ونزاهته ، ومرد ذلك الى حادثة شخصية وقعت له يوم كان يشغل منصب النائب العام في طرابلس ، فوقعت بينه وبين المتصرف التركي الواقعة يوم طلب منه المتصرف القيام بعمل اعتبره الحكيم مضرا بسمعة الدولة ومخلا بنزاهة القضاء فلم يستجب له ٠ ولما حاول المتصرف اقصائه عن الوظيفة دفع الحكيم القضية الى وزارة العدل في الاستانة التي انتصرت له على المتصرف ، "العدل الذى اتخذته الحكومة العثمانية شعارا لها في ذلك العهد ، لا تفرق بين التركي والعربي ولا بين المسلم والمسيحي ٠ كان خصمي اكبر مني سنا ومقاما وكان هو والمحقق الذى اوفدته وزارة العدل ورئيس المحكمة التي اعمل لديها ورؤساء العدلية في بيروت من الاتراك وكانت النتيجة التي اقرتها الحكومة الرئيسية التركية في العاصمة لمصلحتي انا العربي". (انظر ، سورية والعهد العثماني ، ص٢٨٣) ٠

موقف الدبس :

لم يتأثر الدبس بالدعوة التحررية وان كان قد آمن بضرورة الاصلاح السياسي والاجتماعي . ويعتبر الدبس من دعاة مدرسة العثمانية واحد اركانها . وحث الدبس الشعب مرارا على التآخي والتضافر في سبيل الوحدة العثمانية ، وحاول في مناسبات عديدة دعوة الطوائف المختلفة الى نبذ الشقاق والفرقة والتعلق باهداب الشرعية والتمسك بوحدة دولتهم العثمانية . واعتقد الدبس ان النجاح والقوة لا يقومان الا بالاتحاد والخضوع للسلطة الشرعية .(١)

وقد رحب الدبس بالسيادة التركية على الاراضي العربية ، لهذا نراه يقول في زوال دولة المماليك واستقبال دولة العثمانيين " ... وانقرضت دولة الجراكسة وقد دامت مئة واحدى وعشرين سنة قمرية واول ملوكها السلطان برقوق واخرهم طومان باى واصبحت سورية ومصر منذ ذلك الحين الى اليوم في قبضة ملوكنا العظام وسلاطيننا الفخام السلاطين آل عثمان خان آدام الله ملكهم مدى الزمان ومتع رعاياهم بالتوفيق والنجاح والامان ما تتالى الملوان ...".(٢)

ويعود موقف الدبس الموالي للعثمانيين الى سببين :

١ — اعتقاده بان تصرف رجل الدين يجب ان يكون مسالما . وواجبه الانصراف الى الاهتمام بشؤون رعيته ومحاولة رفع مستواها الثقافي والاجتماعي دون الانغماس في الشؤون السياسية .

٢ — مسايرة السلطات العثمانية للمطران الدبس ولزعماء الطوائف المسيحية عامة ومعاملتها لهم باحترام ومنحهم الرتب والامتيازات . وقد منح السلطان عبد العزيز الدبس الوسام المجيدى الرابع ،(٣) ومنحه السلطان عبد الحميد النيشان المجيدى من الرتبة الثانية سنة ١٨٨٦ ، والوسام العثماني الثاني سنة ١٨٩٣ ،(٤) والوسام المجيدى الاول سنة ١٩٠٤ .(٥)

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٥ ، ص ١٢٣ .
٢ . المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ٦١٣ .
٣ . غانم خطار ، برنامج اخوية القديس مارون ، ص ٢٩ .
٤ . المصدر ذاته ، ص ٣٢ .
٥ . المصدر ذاته ، ص ٣٥ .

وفي خطاب للدبس سنة ١٨٩٣ بالايطالية نشرته جريدة "البشير" البيروتية وهو كتاب شكر للبابا على استقباله الوفد الماروني نراه يطمئن البابا على موقف السلطان العثمانية من النصارى "... وتعلم قداستكم حق العلم كم تشتهي عظمته الشاهانية سعادة رعاياها من اى ملة كانوا وكم يتمتع المسيحيون المتفيئون في ظل سطوتها بالسكينة والراحة العامة . ولا تجهل قداستك ايضا باى التفات ورفق تعاملنا جلالته نحن الرؤساء الروحيين اذ تخولنا حقوقا وامتيازات جمة يحسدنا عليها اخواننا الغربيون . فالحضرة الشاهانية اذا لم تحرمنا شيئا من اسباب التقدم فبقي علينا ان نقبل على الاتحاد بالايمان لكي نستعيد اليقظة الروحية والدنيوية التي يحول الانقسام دون تحقيقها ...".(١)

وقد اعتبر الدبس الامبراطورية العثمانية وحدة حياتية متماسكة متآلفة ودعا الشعب الى التعلق بوحدة الامبراطورية ، واعلن عن خضوعه التام للسلطة الحاكمة . ففي خطابه في استقبال والي بيروت سنة ١٨٩٣ نراه يحث الشعب على "الاخلاص وتوطيد صدق خدمة سلطاننا الاعظم ودولتنا العلية ، خصوصا بسعينا على تمكين علائق الائتلاف والمحبة بيننا من اى مذهب كنا . وارى اننا والحمد لله قد تقدمنا كثيرا في مبادئ الالفة الاجتماعية وعرفنا جميعا ان لا راحة ولا سعادة لنا الا بانضمامنا تحت الراية العثمانية كسكان بيت واحد ...".(٢)

ويخبرنا صديق الدبس ومترجم حياته عبد الله البستاني أستاذ اللغة العربية في مدرسة الحكمة عن مواقف مطرانه من السلطات العثمانية "ولا يجوز لي في هذا المقام ان اطوى كشحا عن التحدث باخلاصه الشخصي للعرش الحميدى وصدق تابعيته العثمانية يؤيد

---

١. البستاني عبد الله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٤٠ .
انظر ايضا : الاب الخورى اغناطيوس ، "تاريخ المطران يوسف الدبس" ، ص ٧٠ .

٢. المصدر ذاته ، ص ١٦٠ .

ذلك انه في كل مرة اتاحت له الفرص مقابلة قداسة ابينا الحبر الاعظم لم يكن ليغفل ان يزين الخطب التي يتلوها بحضرته من اطراء جلالة سلطاننا المفخم وخاقاننا الاعظم ذاكرا بالشكر ايادیه البيضاء على الرعية عموما وعلى المسيحيين ورؤسائهم الروحيين خصوصا . الم نسمعه ايضا في تلاوة الفرمانات الشاهانية بمعرض تنصيب ولاة بيروت ومتصرفي لبنان ملقيا الخطب الاثيلة وذاكرا ايادى الحكومة عن الرعية ومحرضا على اخلاص العبودية لها في مقابلة حسناتها المتعددة . الم نسمعه كيف يطرىء بحق وصواب العظمة الشاهانية التي افاضت عوارفها على الجميع ويجهر من صميم القلب بالدعاء لها وبالتأيد وطول البقاء وتذليل المشاكل وتفكيك المعضلات والانتصار على كل مناوىء ومخاصم ".(١)

ولعل ترجمة الدبس للسلطان عبد الحميد تشير بوضوح الى موقفه من السلطان الذى اطلق على عهده اقبح النعوت ، وحاربه الادباء والمفكرين ونددوا به لما اشتهر به من ظلم وعرف عنه من استبداد " .. هو سلطاننا الاعظم ومليكنا الاعظم ولي النعم من اشتهر بحكمته وحسن سياسته بين الامم كارعلى علم نصره المولى المنان وايد اريكة ملكه ما تتالى الملوان وجد الجديدان . ان من عادة المؤرخين ان لا يدونوا تراجم ملوك ايامهم خشية ان يعزى اليهم التملق والمغالاة في مدحهم فخذوا حذوهم ولا سيما ان ما من الله به على مولانا الاعظم من الحكمة السامية واصالة الرأى وسداد الفكر وتوقد الذهن وسمو المدارك وغير ذلك من الصفات النادرة المثال في الملوك الاعاظم هو غني عن البيان ويعترف به كل لسان فيقتصر على ذكر تاريخ مولده الشريف وسنة استوائه على العرش وذكر بعض اعماله الباهرة وبعض ما كان في ايامه الزاهرة ....".(٢)

---

١. البستاني عبدالله ، عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، ص ٥٤ — ٥٥ .

٢. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٨ ، ص ٦٧٨ — ٦٧٩ .

ان الدبس ينفي عن نفسه تهمة المدح والتملق ، ولكن هل هذا صحيح ؟ ان معظم رجال الفكر والدين والسياسة المسيحيون الذين مآلوا السلطات العثمانية نراهم اكثر الناس ابتهاجا وفرحا بثورة ١٩٠٨ التي قضت على استبداد العهد الحميدى . واعتقد ان السبب في سكوت معظمهم ووقوفهم بجانب السلطات الحميدية يعود الى الخوف من بطشها وانتقامها منهم في حال عصيانهم وتمردهم عليها وعدم موالاتهم لها . (١)

ولا نستطيع الجزم بما كان سيكون موقف الدبس من الحكم التركي لو انه عايش العهد الدستورى الذى قام بعد ثورة ١٩٠٨ ، لان الدبس توفي في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٠٧ . ولكننا نستطيع التخمين ، وليس من سبب يجعل موقف الدبس مختلفا عن غيره من رجال الدين والدنيا المسيحيين الذين ابتهجوا لزوال سلطة الارهاب والقمع التي سادت وانتشرت زمن العهد الحميدى ورحبوا (على الاقل في البداية) بعهد الاحرار الدستورى .

هذا الموقف الموالي للسلطان المدافع عن الرابطة العثمانية هو الذى املى على الدبس فلسفته لتاريخ العثمانيين الحديث . فلا عجب ان رأيناه يحلل الاحداث العثمانية تحليلا خاصا يوافق اهوائه ومعتقداته . فهو مثلا يلقي اللوم على روسيا في حرب سنة ١٨٧٧ ويمجد بسالة الجيش العثماني ، " ... فأظهر الجنود العثمانيون وقادتهم في هذه الحرب ايات البسالة والثبات ولا سيما في مواقع بلغنه وقارص بنوع انهم وان تقهقروا الا انهم ابانوا

---

١ . من يطالع اعداد " لسان الحال " البيروتية قبل ثورة ١٩٠٨ وبعدها ، يرى الفرق واضحا في مقالات كتابها ومحرريها . فبينما كانت تدعو الى التآخي والتضامن بين جميع الاجناس والاعراق في الامبراطورية تناشدهم الاخلاص لسلطانهم وتدعوهم للتضحية في سبيل وطنهم ، ترتد بعد ثورة الاحرار الترك عام ١٩٠٨ على عهد عبد الحميد وتهاجمه بقسوة وتندد به وتبين مساوئ حكمه وتعم صفحات الجريدة المقالات التي تصف حفلات البيروتيين احتفالا بعودة الدستور والحرية . وفي مقالات الشيخ مصطفى الغلاييني اوضح دليل على ذلك (" لسان الحال " ، عدد ٥٧٥٦ ، ١٠ تموز وعدد ٥٧٦١ ، ١٥ تموز وعدد ٥٧٦٣ ، ١٧ تموز ١٩٠٨) .

لروسيا ولسائر دول اوروبا ما اتصفوا به من البسالة والثبات في القتال والتجلد على المشاق مما ادهش كل من سمع باخبارهم وعظمت مهابتهم في اعين اعدائهم انفسهم ".(١)

ويحاول الدبس ان يخفف من تأثير الخسارة التركية في الحرب الروسية — العثمانية عام ١٨٧٧ ويقلل من اهمية معاهدة سان اسطفانوا الشهيرة . والمعروف عن هذه المعاهدة انها من اقصى المعاهدات واجحفها بحق تركيا ، اذ انها سلخت عن جسم الامبراطورية بلادا عديدة كالجبل الاسود وبلا الصرب وبلغاريا ورومانيا ، واجبر الباب العالي على تنفيذ الاصلاحات التي كانت قد قررت قبلا في البشناق والهرسك .(٢)

ولم يجار الدبس الاحرار الوطنيين في مهاجمتهم للسلطات العثمانية ، ولم ير رأيهم في ان الدولة العثمانية تقف سدا منيعا في وجه انتشار العلم والثقافة في البلاد العربية ، ولم يعتقد ايضا ان العهد الحميدى في العالم العربي كان عصر الجهل (Par Excellence) ، بل على العكس من ذلك رأى ان العثمانيين يبغون نشر العلم والمعارف في ارجاء الامبراطورية ، " ... ولا ينكر ما كان في ايام عظمته من النهضة العلمية في جميع ممالكه ولا سيما عند الاتراك من تأسيس المدارس والمكاتب والمطابع وترجمة الكتب فقلما نجد الان كتابا علميا هاما في اى فن او علم كان الا ونجده مترجما الى التركية . وقد احيت مطبعة الطباعة كثيرا من رمم مؤلفات القدماء واغنت المكاتب بها وبباقي مطبوعاتها . أطال الله ايامه وزادها يمنا وسعدا وجعل الاقبال والرغد له رقا وعبدا ".(٣)

---

١. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٨ ، ص ٦٧٩ .

٢. A.R. Marriett , The Eastern Question , Oxford University Press , London , 1956 , P.P. 334 - 336 .

٣. الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ٨ ، ص ٦٨٥ — ٦٨٦ .

ولعل عذر الدبس في مواقفه الخنوعة والموالية للسلطات العثمانية يعود الى عدم تمتع الكتاب والمفكرون بحرية التعبير عن ارائهم والجهر بها . فقد كان العهد الحميدى يضيق الخناق على الصحافة ويشدد عليها الرقابة بواسطة اجهزته الاعلامية . ولم يكن يسمح بطبع او نشر ما قد يشكل خطرا (على الاقل برأى جهاز الرقابة) على الوضع الراهن . وغالبا ما عطلت الصحيفة وصودر كتاب من اجل فقرة او كلمة وردت فيهما واعتبرها الرقيب مقصودة وموجهة للطعن بجهاز او نظام او شخص معين ، " والمراقبون والمدققون ، كثيرا ما كانوا يغالون في البحث والتدقيق مغالاة شديدة . لانهم كانوا يحسبون حسابا لابعد الاحتمالات ، ولاغرب التأويلات . وكانت الرقابة تواصل عملها — بكل اهتمام — حتى بعد الطبع ، لكي لا تترك مجالا لادنى اختلاف بين النص المرخص والنص المطبوع . وقد حدث غير مرة ان عطلت جرائد ، وصودرت كتب لسهو مطبعي بسيط ، لا يتعدى حدود سقوط حرف واحد او زيادة حرف واحد ، في كلمة واحدة . وذلك لان المدققين توهموا ان ذلك قد يفسح مجالا لتأويلات سيئة ". (١)

لهذا ، يجب ان لا نقسو في حكمنا على الدبس ومواقفه من السلطات العثمانية ، فهو اولا واخرا ، كان لايستطيع عمل الكثير بامكانيات محدودة ومحددة .

---

١ . ساطع الحصرى ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٠١ .

٧ ــ فكرة لبنان وسورية عند الدبس

ظهر اثر النهضة الثقافية واضحا في بعث الوعي القومي في البلدان العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر • ويعتقد الدكتور هانس كون (Hans Kohn) ان اول اثار هذه النهضة ظهر في المدن التي كانت مهد الحضارة القديمة كنتيجة ايجابية لانتشار الحضارة والمدنية الغربية وكنتيجة عكسية وردة فعل للقومية التركية الحديثة .(١)

وقد ظهرت اول بوادر النهضة الثقافية والوعي القومي في سوريا نظرا لموقعها الجغرافي ، فهي من ناحية تحاذى البحر المتوسط وتواجه اوروبا ، ومن ناحية اخرى اثر فيها انتشار الثقافة على ايدى الارساليات الاجنبية قبل غيرها من بلدان العالم العربي .(٢) وقد نشاءت القومية السورية شبيهة بالقومية الاوروبية الحديثة (قومية القرن التاسع عشر) وحملت شعاراتها ومبادئها .(٣) وتجلى ظهور هذه القومية في المدن الكبيرة كدمشق وبيروت والقدس وحيفا ، ثم ظهرت في بلاد ما بين النهرين .(٤)

كانت البلاد العربية قبل حملة نابوليون على مصر وحملة محمد علي باشا على سوريا ومجيء الارساليات الاجنبية اليها بعيدة عن تأثير الحضارة الاوروبية الحديثة .(٥) ولئن

١• Kohn , Op. Cit. , P. 266 .

٢• Ibid. , P. 266 - 267 .

وفي كتاب الدكتور قسطنطين زريق ، الوعي القومي ، منشورات دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٤٠ ، بحثا مستفيضا حول تاريخ الوعي القومي ، نشأته وتطوره واهميته وتأثيره على الحياة السياسية والاجتماعية في الشرق العربي •

٣• Ibid. , P. 266 .

٤• Ibid. , P.P. 266 - 267 .

٥• Ibid. , P. 268 .

اثرت هذه العوامل في خلق نفسية سورية جديدة ، حيث انار العلم عقول الناس وفتح قلوبهم وبصائرهم فان ذلك لم يؤثر مطلقا على ولائهم للامبراطورية العثمانية ، بل بقي العـــرب (المسلمون خاصة) يفخرون بعثمانيتهم ويدينون بالولاء المطلق للسلطان العثماني .(١) حتى اولئك المسيحيون المثقفون حديثا لم يبغوا (في البداية على الاقل) اكثر من الاصلاح السياسي والاجتماعي المشابه في الجوهر للاصلاحات التي عمت اوروبا في تاريخها الحديث.(٢)

بدأت فكرة سوريا كوحدة جغرافية وتاريخية حياتية تظهر في اواسط القرن التاسع عشر. واول من وعى هذه الحقيقة هو المعلم بطرس البستاني الذى كان مصلحا اجتماعيا اكثر منه مفكرا قوميا .

آمن البستاني ان الوطن لا يقوم الا على قواعد العلم الذى هو اساس النهضة القومية . لذلك اهتم بنشر العلم والثقافة فأسس سنة ١٨٦٣ "المدرسة الوطنية" وهي اول مدرسة في البلاد تقوم على اساس وطني وليس طائفي .(٣) واهتم البستاني باحياء اللغة العربية ونشرها اسوة برواد الاصلاح الادبي في القرن التاسع عشر ، فألف قاموسا عربيا "المحيط" و "دائرة المعارف" التي اشتملت على تعاريف عديدة وصيغت بلغة عربية صحيحة . وقد اعتقد البستاني ان نهضة الشرق لا تقوم الا على تعلم معارف الغرب واقتباس اختراعاته.(٤) ولكن ذلك لم يمنعه من التأكيد على وجود حضارة عربية قديمة وشهيرة ، ازدهرت وانتشرت حينما كان الاوروبيون يعيشون في حالة جهل مطبق . ويعزو البستاني سبب نهضة اوروبا الحديثة الى اقتباس الاوروبيين علوم العرب وتأثرهم بحضارتهم .(٥)

---

١. Zeine Zeine , Op. Cit. , P. 45 .

٢. Ibid. , P. 58 .

٣. Hourani , A. , Op. Cit. , P. 99 .

٤. Ibid. , P. 100 .

٥. البستاني بطرس، خطبة في اداب العرب ، ص ٣١ .

ويعتقد البستاني ان العلم والمعرفة هما الوسيلة اللازمة لرقي العرب وتقدمهم . فأنتشار العلم وتعميم المعارف يؤديان بالضرورة الى نهضة عربية شاملة .(١)

اما مستلزمات النهضة في نظر البستاني فهي في سعي الشرقيين لتحقيق وحدة وطنية والعمل في سبيل دعمها وتقويتها . ويتم ذلك برغبة جميع افراد الوطن على اختلاف طوائفهم في التضامن والتماسك ونبذ خلافاتهم المذهبية . وليس هذا العمل بصعب التحقيق متى آمن افراد الوطن بأنهم اخوة في الانسانية ويعبدون نفس الاله .(٢)

ودعا البستاني الى تقوية الشعور الوطني وتوطيده . وبشر بأن محبة الوطن من الايمان . وعلى اثر حوادث سنة ١٨٦٠ الطائفية في لبنان ، اصدر البستاني جريدته "نفير سوريا" وتقع في صفحتين ، جعلها على شكل رسائل .ظهر منها احدى عشر عددا . وكانت تتضمن مقالات صاحبها وفيها يحث ابناء الوطن على التآخي والاتحاد .(٣)

وكان البستاني مؤمنا بعثمانيته داعيا الى التآلف والتكاتف بين جميع العناصر العثمانية . ولم تجل بخاطره فكرة الانفصال او الاستقلال عن الامبراطورية العثمانية بل "كان ينزع منزع السياسي العثماني الصحيح".(٤) ولكن البستاني الذى اعتقد ان بلاده

---

١. البستاني بطرس ، خطبة في اداب العرب ، ص ٢٥ .

٢. المصدر ذاته ، ص ٣٢ .

٣. Hourani , A. , Op. Cit. , P. IOI .

٤. المقدسي انيس ، العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث ، ص ٧ . وقد نقل المقدسي في كتابه وقائع حفلة توديع سليمان البستاني نائب بيروت .وحصلت مشادة خلال الحفلة بين جمهور من اللبنانيين حول موقف الترك من العرب ، فالقى بطرس البستاني خطابا جاء فيه : " ... اقول لكم عن ثقة ويقين ان قولهم ان بين رجال الحكومة من الاتراك قوما يكرهون العرب او يضطهدونهم وهم باطل اختلقه بعض اصحاب الاغراض والمفاسد . فالاتراك عموما ورجال الحكومة منهم بالخصوص يحبون العرب ويجلونهم ويعتمدون عليهم في تأييد الدولة ، ولا يضطهدون اللغة العربية بل هم على العكس من ذلك يؤيدونها " ، (المقدسي انيس ، العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث ، ص ٧) .

هي الامبراطورية العثمانية آمن ايضا ان سوريا هي وطنه · ويجمع السوريون سويا وحدة العادات واللغة والارض المشتركة ·(١) وحث البستاني السوريين على التآخي والتآزر لرفع شأن وطنهم سوريا ودعاهم الى نبذ الخلافات المذهبية والتعصب الطائفي والتعلق بالحرية والمساواة ·(٢)

وبدأ الناس يتداولون اسم سوريا واصبح مفهومها الجغرافي والتاريخي شائعا · وظهر كتاب خرابات سوريا لخليل الخوري سنة ١٨٦١ وفيه دراسة تاريخية لاثار سوريا القديمة وتحديد جغرافي لها ·(٣) وظهر بعد هذا الكتاب دراسات عديدة ادت الى التساؤل عن اصل السوريين ومفهوم سوريا السياسي والاجتماعي · اولها كتاب لالياس ديب مطر صدر في بيروت سنة ١٨٧٤ · وهو دراسة ضعيفة لتاريخ سوريا ولكنه مهم في كونه يشكل المحاولة الاولى لتفهم اصل السوريين وتاريخهم القديم ·(٤) وتلاه سنة ١٨٨١ كتاب جرجي يني ، تاريخ سوريا · وهو اول تاريخ شامل لسوريا منذ الخليقة حتى اواخر القرن الثامن عشر ·(٥) وقد اورد المؤلف الحوادث التاريخية على نظام تأريخ لكل مدينة سورية مهمة · واعتمد يني وهو ارثوذكسي من طرابلس على مصادر اجنبية وعربية ، كهيرودتس وبليني وبطليموس ويوسيفوس عن فترات ما قبل الميلاد حتى الفتح الروماني ، وعلى الطبرى وابن الاثير وابو الفداء في تاريخه للعرب وعلى الامير حيدر الشهابي وطنوس الشدياق في تاريخه اللبناني ·(٦)

١· Hourani , A. , Op. Cit. , P. 274 .

٢· Ibid. , P. IOI .

٣· Ibid. , P. 27I .

٤· الياس ديب مطر ، العقود الدرّية في تاريخ المملكة السورية ، بيروت ، ١٨٧٤ ·

٥· جرجي يني ، تاريخ سوريا ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٨٨١ ·

٦· كعادة معظم المؤرخين اللبنانيين في القرن التاسع عشر ، لم يورد المؤلف اسماء مصادره كاملة وانما اشار الى بعضها احيانا ، الدبس في تاريخ سورية ، يتبع النمط ذاته ، اذ ليس في الكتاب لائحة باسماء مصادره ومراجعه ·

ولم يراع جرجي يني النسبة في كتابة فصول الكتاب حيث يفرد مئتي صفحة من كتابه الواقع في ٥٣٢ صفحة الى التاريخ القديم ، ومئتى صفحة اخرى لتاريخ العرب قبل الفتح العثماني ولا يؤرخ للبنان الا لماما بعكس الدبس وغيره من المؤرخين اللبنانيين المسيحيين . ولم تكن عدم مراعاة النسبة في كتابة فصول الكتاب شيئا غير عادى بالنسبة الى مؤرخي القرن التاسع عشر ، بل على العكس كان هذا النمط شيئا مألوفا . (١)

ونلاحظ جرجي يني كثير التأثر بالنهضة الاميركية . والجدير بالذكر ان المفكرين والمصلحين العرب كانوا ينتمون في اواسط القرن التاسع عشر واواخره الى واحد من تيارين :

١ — التيار الذى تأثر بتعاليم الثورة الفرنسية ، فأصبح ينادى بالحرية والمساواة والاخاء واحيانا بالثورة . ومن الطبيعي ان يحارب افراد هذا التيار الحكم العثماني المعروف عنه ظلمه وفرديته . (٢)

٢ — التيار المعتدل المحافظ الذى آمن بالتطور والاصلاح المدروس . وقد حاول افراد هذا التيار ادخال بعض النظم وتحقيق الاصلاح ولكن مع الاعتراف بسيادة العثمانيين وشرعية حكمهم دونما التفكير بالانتفاضة او الثورة عليهم . (٣)

ويمت يني كما يمت الدبس الى التيار المعتدل الذى آمن بالعدل وسيلة لتحقيق الاصلاح ، "اما العدل فهو روح الوجود وسياج الملك وقوام الامم وقد انبأنا التاريخ برفعة الامم التي استظلت به وبأنحطاط اللاتي خذلته والعدل قسمان خاص وعام ". (٤)

---

١ . جورج حداد ، "مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي خلال المائة سنة الاخيرة" ، الابحاث ، ج ١٢ (حزيران ١٩٥٩) ص ١٥٦ — ١٥٧ .

٢ . للاستزادة حول مبادىء افراد هذا التيار راجع كتاب رئيف خورج ، الفكر العربي الحديث ، الذى يبحث في اثر الثورة الفرنسية على التوجيه العربي السياسي والاجتماعي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

٣ . يني جرجي ، تاريخ سوريا ، ص ٦ .

٤ . المصدر ذاته ، ص ٧ .

ومن اهم خصائص هذا التيار النظر الى اميركا كدولة تتجسد فيها معاني الحرية والعدالة والاصلاح ، فلا غرو اذا اعتبرها المصلحون العرب الاوائل مثالا اعلى يحتذى به، " ... كذلك دولة الولايات المتحدة الاميركانية فان الحرية احيت في عروقها دم التمدن والعدل والانسانية ، فاصبحت في زمان يسير من اعظم الدول اقتدارا ورفعة وتمدنا ". (١)

وقد ظهر تأثير الحضارة والاصلاح الاميركيين في البلاد السورية نتيجة :

١ — الارساليات التبشيرية الانجيلية الاميركية في البلاد السورية والتي حاولت رفع مستوى التعليم وتعميمه ففتحت المدارس الكثيرة في انحاء شتى من البلاد السورية . وظهرت نتيجة انتشار العلم حينما تفتحت عقول الناس على المفاهيم الاميركية كالحرية والعدل والديمقراطية فحاولوا ممارستها وتحقيقها . وفي خطاب لبطرس البستاني نراه يعترف بفضل الارساليات في نشر العلم وتعميم الثقافة ، " ... اننا اذا نظرنا الى الجيل التاسع عشر ينفتح لنا باب الامل ، فليبشر بنو سام لان اولاد عمهم بني يافث قد ابتدأو يرجعون لهم ما اخذوه منهم مطبوعا وعلى ظهره اكتشافاتهم المتأخرة نظير فائدة لا ربا عن مدة اربعمائة سنة . ويجب ان نضع المرسلين الاميركان والرهبان والراهبات اللاتينية وعلى الخصوص اليسوعية منهم واللعازارية في الرتبة الاولى من هذا القبيل لان حسن قدوتهم وفضل مساعيهم في هذا الامر بواسطة مدارسهم ومطابعهم ظاهران لا ينكرهما الا من كان ناكر الجميل او من اصحاب الغرض والتعصب ". (٢)

---

١. يني جرجي ، تاريخ سوريا ، ص٥ .

٢. البستاني بطرس ، خطبة في آداب العرب ، ص٢٧ .

٢ — الهجرة السورية الى الاراضي الاميركية وثم الرجوع الى الوطن او الكتابة الى الاهل والاصدقاء عن الاشياء الجديدة والحسنة التي رأوها في تلك البلاد ، " وقد تسربت مساهمة اميركا في يقظة العالم العربي الثقافية عن طريق آخر هام جدا هو طريق المهاجرين العرب في الولايات المتحدة الاميركية . كان معظم هؤلاء المهاجرين من لبنان وفلسطين خاصة ومن بقية الاقطار العربية بصورة عامة . وكانوا قد هربوا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين من الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعانيها الامبراطورية العثمانية ، فوجدوا في العالم الجديد ملجأ آمنا تمكنوا فيه من ان يشقوا طريقهم في الحياة دونما عقبة من عقبات العالم القديم . وبقوا يرسلون الى عائلاتهم في الوطن ثمار نجاحهم المدهش . ولم تكن تلك الثمار مادية فحسب بل كانت فكرية وثقافية ايضا ... واهم من هذا كله التأثير الادبي الذى عم العالم العربي باسره عن طريق النابغين من المهاجرين كجبران خليل جبران وامين الريحاني وغيرهما ممن وجدوا في العالم الجديد الحرية التي لا غنى عنها لاية نهضة فكرية وثقافية ".(١)

واستأثرت فكرة " سوريا " في بادئ الامر بالمسيحيين الارثوذكس والبروتستانت ثم بالمسلمين والدروز من خريجي مدارس الارساليات الاميركية . ويرجع حوراني السبب في ذلك الى خوف هذه الجماعات من فكرة لبنان المستقل حيث يطغى نفوذ الموارنة وتعم الثقافة الفرنسية .(٢) لهذا حاولت هذه الفئات التي تشكل اقلية في الجبل اللبناني الاستعاضة عن الامبراطورية العثمانية المتداعية ولبنان المستقل النامي ذى الصبغة الفرنسية والاكثرية المارونية بوطن علماني مستقل هو سوريا .(٣)

---

١ . نبيه فارس ، " اميركا والنهضة العربية الحديثة " ، الابحاث ، ج ١١ (ايلول ١٩٥٨) ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

٢ . Hourani , A. , Op. Cit. , P. 276 .

٣ . Ibid. , P. 276 .

ولكن مفهوم سوريا لم يقتصر على هذه الفئات وانما تعداه الى الطوائف الاخرى • فاهتم بعض الموارنة والكاثوليك بتاريخ سوريا • ولكن اسلوبهم وتأويلهم للتاريخ كان تأويلا دينيا بحتا • ويعود سبب اهتمامهم بتاريخ سوريا الى كونها مهد الدين المسيحي • ومعظم مؤرخي هذه الفئة من اعضاء جمعية "المشرقية" والتي كان هدف اعضائها البحث والتنقيب في الاثار السورية القديمة • لهذا نرى خلو تواريخ مؤرخي هذه الجمعية وافتقارها الى المفاهيم القومية والتحاليل التحررية والمشاعر الوطنية •(١) واعتبر مؤرخو هذه الفئة لبنان جزءا لا يتجزأ من سوريا ، فهم عندما يؤرخون لسوريا فيعنون بذلك لبنان في معظم الاحيان ، حتى اضحى لبنان بنظرهم يعني سوريا ، وسوريا تعني لبنان • وقد تشابك المفهومان وامتزجا بشكل اصبح من العسير التفريق فيه بينهما •(٢)

واهم من يمثل هذا التيار الاب بولس نجيم (Jouplain) والاب لامنس (Lammens) والمطران يوسف الدبس •

وقد دعا اصحاب هذا التيار الى استقلال لبنان استقلالا داخليا ورأوا ان خلاص لبنان وتحقيق استقلاله لا يتمان الا على ايدي الغرب اكان ذلك من الناحية الثقافية او العسكرية • اما سوريا فتؤلف وحدة تاريخية وحياتية تامة • وقد كانت وستبقى مركز التقاء الحضارات المختلفة كالمتوسطية والسامية •(٣) ويؤكد الاب نجيم ويشدد على مركز لبنان الحيوي

---

١ • وقد كتب يوسف الياس سركيس تاريخ هذه الجمعية وبين فائدتها واهميتها في بعث الفكر القومي السوري في مقالته "الجمعية المشرقية في بيروت" ، المشرق ، ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٣٦١ — ٣٦٢ •

٢ • Hourani , A. , Op. Cit. , P. 277 .

٣ • Jouplain ,M., Op. Cit. , P. 577 .

والكتاب دراسة سياسية لوضع لبنان وادارته زمن المتصرفية • وقد اظهر مؤلفه اهتماما خاصا بالحوادث التي وقعت في لبنان بين سنتي ١٨٣١ — ١٨٦١ • واعتمد على وثائق حكومات انكلترة وفرنسا وعلى مجموعة الكونت دي تستا •

والمميز في سوريا . فلبنان كان يتمتع بوضع خاص منذ الزمن القديم واستطاع ان يحتفظ بمركز مرموق ويحقق استقلالا داخليا مع اعترافه بالسيادة العثمانية . ورأى الاب نجيم ان لبنان سيكون مركز الثقل في سوريا المستقلة والحرة والقوية يوما .(١) وندد الاب نجيم ببروتوكول سنة ١٨٦٠ الذى سلخ عن لبنان مناطق واقساما حيوية ومهمة ، لذلك طلب اعادتها وضمها الى لبنان من جديد . ولكن هذا الامر في رأيه لا يتم الا بمساعدة فرنسا .(٢)

وبعكس الاب نجيم الذى دعا الى التآخي ومحاولة العيش بسلام بين لبنان المستقل باكثريته المسيحية المارونية وحضارته الغربية وبين جيرانه المسلمين ذوى النزعة الشرقية والمنحى الاسلامي ، فان الاب لامنس اظهر عداء سافرا نحو كل ما هو مسلم .(٣) ومع انه كان يعتقد بوجود حضارة سورية متميزة ، ويؤكد وحدة سوريا كوضع جغرافي تام فأنه اعترف

---

١. Ibid. , P. 581 .

٢. Ibid. , P . 587 .

وعلاقة الموارنة بفرنسا ومحبتهم لها ظاهرة تستلفت النظر ، وهي ليست ظاهرة حديثة ، وانما تعود الى زمن الحروب الصليبية . ولكنها لم تتأصل حتى عهد الملك لويس الرابع عشر الذى بعث الرسل والمناشير الى بطريرك الموارنة يتعهد فيها بحماية الموارنة ويؤكد لهم ان فرنسا تبغي صداقتهم ومحبتهم . (راجع كتاب :

Ristelheuber , Les Tradition Francaise au Liban , Paris ,1918 .

والكتاب يشتمل على تاريخ للعلاقات بين الموارنة وفرنسا . وقد اظهر فيه المؤلف بعض الغلو والتبجح . وكذلك كتاب فرديناند تيان :

France et Liban , Libraire Academique , Paris , 1917 .

ويورد المؤلف فيه حوادث وشواهد تثبت علاقة فرنسا والموارنة المتينة) .

٣. Salibi , K. , " Islam and Syria in the Writingns of Henry Lammens " , Historians of the Middle East , P. 341 .

ايضا اسوة بالاب نجيم بوضع لبنان الخاص ضمن سوريا المستقلة .[١] وشدد لامنس على وجود فوارق عديدة ومهمة بين العنصرين السوري والعربي . واكد على وجود اختلافات اساسية بين القوميتين وحاول التقليل من اهمية القومية العربية والتخفيف من اثرها على الحضارة السورية وتراثها . ولم يتوان لامنس عن نكران وجودها احيانا .[٢]

وفي محاولته لشرح العلاقة المشتركة بين العرب والسوريين نراه يتهم العرب بانجذابهم نحو سوريا لاستغلال خيراتها ويعّرف الارض السورية بأرض "الخمرة والخمير". ولكن سوريا صهرت العرب الذين اقتبسوا حضارتها بينما اخذ السوريون عنهم لغتهم ودينهم.[٣] ويصف لامنس سوريا بانها " ... كانت مزدهرة واذا ما نظرت الى اسية فيقع نظرك على رقعة مميزة بين المتوسط والصحراء العربية . هذه الارض التي تقع بين ثلاث قارات منذ العهد القديم ، اوروبا واسيا وافريقيا ، هي سوريا . وهي تحتوي على حضارة الاقدمين كالبابليين ، والمصريين ، واليونانيين . نشأ هذا الشعب بعد شتى الانقلابات ، ووضح فيه الضمير القومي وتعشقه للوحدة بعد جهاد مرير وخبرة طويلة . ولسوريا حسنات لا تضاهى ، فقليل من البلاد مثلا تتمتع بحدود كحدود سوريا الطبيعية ويحيط بها البحر والجبل والصحراء".[٤]

---

١. **Hourani , A. , Op. Cit. , P. 276 .**

٢. **H. Lammens , La Syrie Precis Historique , Vol. I . , Imprimerie Catholique , Beyreuth , 1921 , P. 6 .**

ويعتقد الدكتور صليبي ان الاب لامنس وضع كتابه باشارة من الجنرال غورو المفوض السامي في لبنان سنة ١٩٢٠ وكانت تربطه به صداقة حميمة . وكان لامنس من المؤمنين بفائدة الانتداب الفرنسي على لبنان ومن الداعين له المبتهجين بمجيئه .

٣. **Ibid. , P. 7 .**

راجع كتابه : **L'Islam , Imp. Catholique , Beyreuth , 1941 .**
نرى ان لامنس وان كان يظهر الكثير من التفهم والتحليل المنطقي في دراسته للمجتمع الاسلامي والشريعة الاسلامية فهو يتحامل كثيرا على التراث الاسلامي والحضارة الاسلامية .

٤. **Ibid. , P. 1 .**

ويحدد لامنس مقومات القومية باربعة : الارض ـ اللغة ـ الاصل ـ العادات والتقاليد . وينفي لامنس تمتع السوريين بهذه المقومات جميعها ولكنه يؤكد وجود بعضها في الامة السورية . وفي محاولته لفهم مستقبل هذه الامة يشدد لامنس على ضرورة تحقيق وحدتها وفائدته وستكون " نهاية ماض، وبعد تضحية واختبارات مؤلمة يدعمها هدف سام مشترك ". (١)

ولم تتغير نظرة افراد هذا التيار الى وضع سوريا الجغرافي والتاريخي حتى بعد اعلان دولة لبنان الكبير سنة ١٩٢٠ . فقد ظهر سنة ١٩٢٤ كتاب بقلم احد الاباء اليسوعيين، (٢) استهله بتعريف جغرافي وتاريخي لسوريا .

" ١ ـ سورية بلاد تصلح للزراعة . يحدها غربا البحر المتوسط وشرقا بادية سورية وشمالا جبال طوروس وجنوبا بادية سيناء . وهي اشبه بالجسر الممتد بين اسية الصغرى وبلاد ما بين النهرين وبين مصر . فاصبحت سوقا يقصدها الشعوب المجاورون لها يبيعون فيها ويشترون ، وميدانا يتسابقون فيه للاستيلاء عليها .

٢ ـ ولذلك قلما تمتعت سورية في سالف الازمان بالاستقلال والوحدة السياسية . الا انها تفردت بمدنية لها قلدتها من حل فيها واستوطنها من الفاتحين . اما لبنان فقد ظهرت فيه الحياة القومية بعد ظهورها في سورية فكان له حضارة وتقاليد وطنية مختصة به . تلك بلادنا . بلاد حية لم تمت ابدا . فيها تربة اجدادنا واثارهم العزيزة فهي اذا الوطن الذى ينبغي ان نحبه وندرس تاريخه ". (٣)

---

١. Ibid. , P. 4 .

٢. مختصر تاريخ سورية ولبنان ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٤ . وقد صدر الكتاب بالاصل باللغة الفرنسية تحت عنوان : Petite Histoire de Syrie et du Liban .

٣. المصدر ذاته ، ص ٤ .

لذلك نستنتج :

١ — ان اعتبار افراد هذه الفئة لسورية ولبنان وحدة جغرافية وتاريخية متكاملة بقي حتى بعد اعلان استقلال لبنان وظهور العهد الفيصلي في سورية واستتباب الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان .

٢ — ولكنهم في الان ذاته كانوا يعترفون بوضع لبنان الخاص من الناحية التاريخية والحضارية ، ويميزون بينه وبين بقية اجزاء سوريا وبقاعها .

موقف الدبس :

يعتبر الدبس سوريا وطنه حيث يقول في مقدمة تاريخ سورية ، " ولما لم يكن لنا بالعربية حتى الان كتاب يشمل تاريخ وطننا سوريا القديم والحديث ويستحق الاركان اليه اردت ان يكون كتابي على سبيل تاريخ لسوريا ... " (١)

ويعتقد الدبس بوجود شعوب عربية عديدة وليس شعب عربي واحد " ... ان جل غرضي من كتابي هذا لا سيما في جزئه الاول الذى تم بعون الله في جزئه الثاني المعقود العزم على تأليفه انما هو جعل الاكتشافات الحديثة معروفة لدى عامة الشعوب المتكلمين العربية لنفعهم وتقوية ايمانهم ". (٢)

وهنالك حقيقتان حول " سوريا " الدبس :

١ — يرجع سبب اهتمام الدبس بتاريخ سوريا اسوة بمؤرخي " جمعية المشرقية " الى

---

١ . الدبس يوسف ، تاريخ سورية ، ج ١ ، ص ٤ .
٢ . المصدر ذاته ، ص ٤ .

عامل ديني هو كون سوريا مهد الديانة المسيحية ، ولهذا نراه يعتمد على الكتاب المقدس كمصدر اولي واساسي ويأخذ عنه اخبار الخليقة وتاريخ الشعوب السورية القديمة .(١)

٢ — اعتبر الدبس سوريا وحدة جغرافية وتاريخية تامة . ولكنه اعترف بوضع لبنان الخاص والمميز ضمنها اسوة بالاب نجيم والاب لامنس . لهذا فعندما ارخ لسوريا فانه كان يعني بذلك لبنان الى حد كبير .(٢) وبينما نراه مهتما بتاريخ سوريا معتمدا على مصادر اجنبية ومؤرخين اجانب في الاجزاء الاولى من تاريخه ، نراه في الاجزاء الاخيرة (السابع والثامن بوجه خاص) يؤرخ للبنان عندما يقول سوريا ويعتمد على مصادر لبنانية بحتة .

وظهر في مطلع القرن العشرين فريق من المفكرين السوريين المقيمين في فرنسا . وبايعاز من السلطات الفرنسية التي كانت تطمح بالسيطرة على سوريا كتب هؤلاء المفكرون مشيدين بالحضارة والتقاليد الغربية ، داعين اخوانهم في الوطن الى الترحيب بالسيطرة الفرنسية ، مظهرين ماهية هذا الاحتلال ، مبينين فوائده .(٣) وهم بعكس تيار نجيم — الدبس — لامنس ، لم يفردوا مركزا خاصا للبنان ولم يعترفوا بوضعه الفريد والمميز في سوريا الشاملة الموحدة الخاضعة للحكم الفرنسي وسيطرته .

---

١. انظر على سبيل المثال رواية الدبس للطوفان ، تاريخ سورية ج ١ ، ص ٧١ — ٩٦ ، فتراه يعتمد كليا على الكتاب المقدس . والجزء الثاني من تاريخ سورية وهو يتضمن تاريخ العبرانيين مقتبس باكثره عن الكتاب المقدس ايضا .

٢. Hourani , A. , Op. Cit. , P. 276 .

٣. Ibid. , P. 286 .

ويعتقد الدكتور حوراني ان وزارة الخارجية الفرنسية كانت تعين افراد هذا الفريق ماديا وتمنحهم بركتها ومساعدتها .

وفي سنة ١٩١٢ ظهر كتاب سوريا لخيرالله خيرالله ، ويتبع فيه المؤلف خط الفكر السوري وتطوره عبر الاجيال ، ويبحث في الحالة الاجتماعية والفكرية في سوريا .(١)

ونلاحظ احترام مفكرى هذا التيار للنظم الدستورية المنتشرة في الغرب ، ونراهم يقدرون النظام الديمقراطي ويجلونه ويدعون الى تحقيقه في سوريا . ويعتقد خيرالله ان الامة السورية تتمتع بنواة وحدة طبيعية قواها التاريخ وايدها ولكنها لم تحقق يوما وحدة اجتماعية او سياسية وذلك مرده الى سببين :

١ — اختلاف اصل السوريين .

٢ — عدم وجود حكومة وطنية تعمل من اجل الشعب . (٢)

ويؤكد خيرالله ان الحل الاصلح هو وجود حكومة تؤمن بالديمقراطية واللامركزية وتسعى الى تحقيقها . ويطالب بحكومات محلية اعضاؤها من الشعب الذى تحكمه . ويشدد على توثيق عرى الترابط والتآخي بين مختلف الطوائف والاجناس. اما الوحدة فليس من السهل تحقيقها بل ان ذلك يتطلب وقتا وجهدا . وبالاعتماد على العلم والحضارة تتحقق الوحدة السورية القائمة على الحضارة السورية ، اللغة العربية ، والتـــــراث الشرقي .(٣)

---

١. K. Khairallah , La Syrie , Paris , I9I2 , P. I6 .

٢. Ibid. , P.P. I05 - I06 .

٣. Ibid. , P. I09 .

اما جورج سمن (Samne) [١] فنراه يشدد على تميز السوريين عن العرب ، حتى انه ينفي وجود شعب عربي يتمتع بمزايا الامة الواحدة . وما الدولة المزعومة التي اسسها الامير فيصل في سوريا في اعقاب الحرب العالمية الاولى [٢] سوى دولة مزيفة من صنع الانكليز وعملائهم وموظفيهم في المكتب الهندى . [٣]

---

١. George Samne , La Syrie , Paris , 1920 .

٢. يتجلى هنا تأثر افراد هذا التيار بالسياسة الفرنسية المنتهجة في الشرق العربي . ومن المعلوم ان مملكة فيصل العربية في سوريا قامت ضد ارادة فرنسا التي كانت لها مطامح احتلالية في سوريا ولبنان :

Antonius , George , Op. Cit. , P.P. 243 – 275 .

فمن الطبيعي ان يهاجم افراد هذا التيار الروح التحررية العربية ويعزون سبب تأسيس الدولة الفيصلية في سوريا الى رغبات الانكليز السرية للحد من التوسع الفرنسي في الشرق .

Samne , Op. Cit. , P. 574 .

٣. كان المكتب الهندى مؤلفا من سياسيين وقواد واداريين انكليز متخصصين في شؤون جنوبي غربي اسيا (شبه الجزيرة العربية والعراق) . وكان همهم المحافظة على السيطرة الانكليزية في شبه الجزيرة الهندية وتأمين سلامة الطريق البحرية المؤدية من المتوسط الى الهند عبر السويس والبحر الاحمر . ولم يتدخل موظفوا هذا المكتب في الشؤون السورية التي كانت من اختصاص المكتب الشرقي في القاهرة ومهامه . ولم يتبين لسمن الفرق بين المكتبين ولم يلاحظ اختلافهما على كثير من القضايا العربية ، بل رأى فيهما سياسة انكليزية واحدة يجب محاربتها .

وكما يحارب سمن فكرة الامة العربية الواحدة نراه ينفي بنفس العزم والقوة وجود لبنان مستقل . ويدحض القول بأن اللبنانيين يؤلفون امة متكاملة شروط الوحدة .[١] ويعتبر سمن لبنان بشكله الراهن انموذجا ومثالا لما يجب ان تصبح عليه جميع المقاطعات السورية في المستقبل . ولا مندوحة من جعل لبنان ولاية سورية اسوة بغيره من الانحاء والمقاطعات.[٢] اما الشكل الدستوري لسورية الموحدة الناهضة القوية فهو في بعثها جمهورية ديمقراطية ، فدرالية ، علمانية ، خاضعة للحماية الفرنسية .[٣]

ولعل من اهم مفكرى هذه الفئة ندره مطران . وهو من عائلة ارستقراطية كاثوليكية بعلبكية ومن المقيمين في فرنسا . نشر سنة ١٩١٦ كتابه سوريا الغد ،[٤] الذى اثار جدلا قويا خصوصا عند الموارنة ، وذلك اولا ، لكون المؤلف نفسه كاثوليكيا . وثانيا ، تحامله على زعماء الموارنة وابطالهم كالامير بشير الثاني ويوسف كرم والبطريرك يوسف حبيش . وتتلخص نظريته بان لبنان لم يعرف الاستقلال في جميع عصوره ومراحله التاريخية ، وان استقلاله قبل سنة ١٨٦٠ لم يكن يختلف عن الاستقلال الذى كانت تتمتع به بقية المقاطعات والولايات السورية ، وان لبنان بعكس هذه الولايات كان تحت رحمة الامراء الاقطاعيين وبعضهم غريب عنه .[٥] وشدد مطران على ان لبنان ، جزء اصيل لا يتجزأ عن سوريا من الوجهة التاريخية والعرقية والجغرافية . ولا يمكننا ان نفرقه عنها مطلقا .[٦]

---

١. وقد يكون المؤلف اراد ان يرد على نظرية وآراء جمعية "النهضة اللبنانية" التي دعت الى استقلال لبنان . وكتب بعض اعضائها في تاريخ لبنان مبينين تمتع لبنان بالاستقلال منذ القديم (راجع كتاب ، الخازن فريد ، لمحة تاريخية في استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ سنة ١٥١٦) . وفي كتاب يزبك يوسف ، داود عمون ، مراجعة تاريخية للفكرة اللبنانية .

٢. Samne , Op. Cit. , P. 554 .

٣. Hourani , A. , Op. Cit. , P. 289 .

٤. ندره مطران ، سوريا الغد ، باريس ، ١٩١٦ .

٥. المصدر ذاته ، ص١٢٣ .

٦. المصدر ذاته ، ص٩٨ .

ويتساءل مطران متعجبا من طلب جمعية "النهضة اللبنانية" بجعل لبنان امارة دستورية مستقلة استقلالا تاما يحكمها امير اجنبي لان الاستقلال في هذه الحالة يؤول بالتالي الى طلب الحماية الفرنسية .(١)

وقد انبرى المطران يوسف دريان النائب البطريركي للرد على اقوال مطران ومزاعمه .(٢) والمطران دريان من اعضاء مدرسة التأريخ المارونية التقليدية والتي اعتبر افرادها ان مفهوم سوريا الطبيعي والسياسي لا يتنافى اطلاقا مع وجود لبنان منفصل مستقل . وكانوا يرون في سوريا بديلا لوحدة عربية يطغى فيها العنصر الاسلامي وليس استعاضة عن لبنان باكثريته المسيحية المارونية .(٣) وقد آمن افراد هذه المدرسة بوضع لبنان الخاص والفريد ضمن سوريا الجغرافية ودعوا الى الحفاظ على هذا الوضع . وفي تقييمه لسوريا الغد ، نرى المطران دريان يأسف اشد الاسف "على ما دس فيه من الترهات والاغراض الخصوصية التي من شأنها ان تشوه محيا الحقيقة وتقلل من قيمة الكتاب وتزيد في التفريق بين العناصر السورية في وقت نحن احوج فيه الى الانضمام والوئام منها الى التناحر المشؤوم والتباين المذموم" .(٤)

---

١ . ندره مطران ، سوريا الغد ، باريس ، ١٩١٦ ، ص ١٣٣ — ١٣٤ .

٢ . دريان يوسف ، نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان من قديم الدهر حتى الآن . ويتضمن الكتاب مراجعة تاريخية للبنان منذ زمن الفينيقيين حتى سنة ١٨٦٠ . ويحاول المؤلف ان يبرهن بالحجج والادلة تمتع لبنان بالاستقلال خلال جميع مراحل تاريخه .

٣ . واصحاب هذه المدرسة طالما يعنون تاريخ الموارنة عندما يقولون تاريخ لبنان . وهم يعتقدون ان لبنان نشأ وتأسس على اكتاف الموارنة وسواعدهم فهم عماده واساس بنيانه .

٤ . دريان يوسف ، نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان من قديم الدهر حتى الآن ، ص ٦١ .

٨ ـ خاتمة

من المتعذر ان نحكم على اراء مفكر من خلال اطار خارجي . بل علينا ان نشيد في عقولنا بنيانا وفي افكارنا صورة للمجتمع الذى يعيش فيه ذلك المفكر . ولهذا فمن الظلم ان نحكم على مفاهيم الدبس واراثه ونقيمها على ضوء المفاهيم الجديدة والاعتبارات الحديثة . وقد خرجنا من دراسة الدبس ومدرسة التأريخ المارونية التقليدية بعدة استنتاجات :

ـ لم يكن هدف اعضاء هذه المدرسة التقيد بالحقيقة التاريخية الصرفة ، ولم ينظر افرادها الى التاريخ كمضمون مستقل ولم يعتبروه علم الحقيقة الاول . وبعبارة اخرى ، لم تكن الحقيقة التاريخية بنظرهم غاية تستحق المشاق ولم يستهوهم تحدى الانفلات الى سبر اغوار الماضي والتعمق في دراسته وتحرى مجاهله وتقصي خفاياه واستجلاء حقيقته ، بل كان التاريخ عندهم وسيلة لخدمة مآرب خاصة واهداف معينة . وفي حالة كهذه يسخر التاريخ ويشوه .

ـ تقيد افراد هذه المدرسة والدبس منهم بنظرة موجهة ومحددة ، هي ان الحقيقة التاريخية تكمن في مؤلفات الاسبقين ومعتقداتهم فلا جدوى اذا من التقصي والبحث . وبهذا انعدم وجود حركة لاستجلاء التاريخ واستنباطه . فالحقيقة التاريخية قد بانت وما على المؤرخ سوى التقيد باراء الاسبقين والتزام مناهجهم . ولهذا نرى الخطأ التاريخي مكررا وعاما وواردا في كتاباتهم جميعا على انه الحقيقة بعينها .

ـ تميزت تواريخ افراد هذه المدرسة بصبغة جدلية دفاعية . ان هدف افراد هذا التيار كان الدفاع عن تمسك الموارنة بالايمان القويم ، والتشديد على ان اتحاد الموارنة بالكثلكة يرجع الى القرن السادس وكل رأى يخالف هذا الرأى هو رأى باطل وزائف . ان هذه النظرة هي التي جعلت مؤرخي هذه المدرسة ينظرون بحذر

/..

شديد ويرفضون بحزم متناهي كل زعم يخالف زعمهم • لقد اصبح المؤرخ في هذه الحال مسيرا وموجها نحو حقيقة الزامية مسلم بها • وانعدم توفر عنصر المقارنة والمشابهة بين الاراء المختلفة والنظريات المتضاربة على اسس علمية وعقلانية • وكل بحث او مقارنة بين النظريات المتعددة كان شكليا وسطحيا ، لان النتيجة حتمية ومقررة سلفا •

— تمتع افراد هذه المدرسة بعلم غزير ومعرفة وافرة للقضايا الدينية العديدة • فهم وان كانوا ملتزمي فكرة معينة ومبدأ خاص فقد جلوا في بحوثهم الدينية • فلا غرابة اذا رأينا الدبس يحلل القضايا الدينية الشائكة وينقد المذاهب والفرق الدينية المتعددة ، ويعطينا البرهان الواضح على غزارة معلوماته وعمقها في الشؤون الدينية •

اما في القضايا الزمنية فهو على العكس من ذلك ، خاصة فيما يتعلق منها بالشؤون الاسلامية غير الحديثة • فنراه ينقل في هذا المجال نقلا حرفيا احيانا دونما زيادة او نقصان ويورد الاخبار على علاتها ولا يجرؤ على التحليل والتقييم والاستنتاج • فهو يعرض ولا يحكم ، يورد ولا ينقد •

— لم يرفض افراد هذا التيار مفهوم سوريا الجغرافية ولكن نظرتهم تميزت بحقيقتين :

١ — نظروا الى سوريا على انها مهد الدين المسيحي ولهذا فهي تستحق العناية والاكرام • ومعظم دراسات افراد هذه المدرسة اقتصرت على تاريخ سوريا القديم ، وخلت من التحليل والتأويل والاستقراء •

٢ — نادى افراد هذه المدرسة بفكرة سوريا المستقلة النامية في اواخر القرن التاسع عشر بديلا للامبراطورية العثمانية المتصدعة والمتداعية •

— ولكنهم في الان ذاته رأوا فيها تجسيدا لكيان لبناني مستقل • وكانت الامارة المعنية — الشهابية لا تزال حلما يراود افكارهم ويدغدغ مخيلتهم ، فكانوا دائما ينظرون بحسرة ولوعة الى هذا الماضي ويصبون الى اعادة بعثه من حديد • ولم يكن نظام المتصرفية سوى تحقيق لذلك الحلم الذهبي ولو بصورة مبتورة ومشوهة •

/••

— ولكن لبنان المستقل النامي كان يعني لافراد التيار الماروني التقليدى انبعاثا لسيطرة مارونية كاملة ٠ فلا عجب اذا رأينا افراد سائر الطوائف المسيحية في لبنان يرهبون فكرة لبنان مستقل ولا يأمنون على انفسهم منه ، حتى ان بعضهم حارب تحقيق الوجود اللبناني خوفا على مصالحه ومراكزه من الضياع ٠

— كان افراد هذا التيار الماروني ينظرون نظرة اعجاب وتقدير الى اوروبا المسيحية الناهضة والقوية ٠ ويعزون سبب قوتها المتعاظمة وسرعة نهوضها الى العامل الديني ٠اما فرنسا فقد كانت بنظرهم الام الحنون التي طالما نظرت الى طائفة الموارنة بحنو وعطف وايدتهم خلال مراحل صراعهم عبر الاجيال لتحقيق استقلال ذاتي ٠

— ولكنهم في الان ذاته كانوا من رواد الاصلاح التطورى ٠ وما نظرة الدبس الى الامبراطورية العثمانية سوى دليل واضح على ذلك ٠ فبتعميم الثقافة ، واقتباس الاختراعات والاكتشافات الجديدة ، وتطبيق النظم الغربية الحديثة ، وتحقيق العدالة ، ونشر السلم ، وتوطيد الامن ، تنال شعوب الامبراطورية العثمانية قسطا وافرا من الاستقرار والتقدم والازدهار ٠

وايا كانت الحال ، فيجب ان لا ننسى ان معطيات الدبس كانت تقوم في غالب الاحيان على مجهود رجل واحد ٠ فتاريخ سورية الذى يقع في ثمانية اجزاء ويتناول تاريخ سورية منذ الخليقة حتى اواخر القرن التاسع عشر هو نتيجة جهود الدبس وكده ٠ قد نستشف في تاريخه هفوات جسام ، واخطاء مهمة ، وتحيز سافر ، ومآخذ جليلة ، ولكن حسبه انه قام بالعمل في زمن لم يكن قد انتشرت فيه العلوم والمعارف انتشارا واسعا وفي عصر كان سكانه بحاجة الى دراسات تاريخية تنهض بهم من غياهب الجهل والظلمة وتهديهم الطريق الى معرفة تاريخ بلادهم ، وتكون الاداة في بعث نهضتهم الوطنية ووعيهم القومي ٠

٩ - قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية :

- ابن الاثير ،عز الدين محمد بن عبد الكريم
الكامل في التاريخ ،ج ١ ،المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٣٨م.

- ابن اياس ،ابو البركات محمد بن احمد
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٣ ج ،حققه محمد مصطفى ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠ - ١٩٦١م.

- ابن تغرى بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ج ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦م.

- ابن خلدون،عبد الرحمن بن حمد
العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، ٧ج ،دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٦ - ١٩٥٩م.

- ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٦ ج ،حققه محي الدين عبد الحميد ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، ١٩٤٨ - ١٩٤٩م.

- ابن شاكر الكتبي ،ابو عبد الله محمد
فوات الوفيات ، ٢ ج ،مطبعة بولاق ،القاهرة ، ١٨٦٥م.

- ابن عربشاه ،احمد بن محمد
عجائب المقدور في اخبار تيمور ،المطبعة العثمانية ،القاهرة ، ١٣٠٥ هـ .

- ابن يحى ،صالح
كتاب تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بنو الغرب (نشره لويس شيخو) بيروت ، ١٩٢٧م.

- ابو شقرا ، يوسف خطار
  الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ، بيروت ، ١٩٥٢م ٠
- ابو عز الدين ، سليمان
  ابراهيم باشا في سوريا ، بيروت ، ١٩٢٩م ٠
- ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل
  المختصر في اخبار البشر ، ج ١ ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ٠
- احد الاباء اليسوعيين
  مختصر تاريخ سورية ولبنان ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٤م ٠
- الاسحاقي ، محمد
  اخبار الدول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول ، المطبعة الازهرية ، القاهرة ، ١٣١١ هـ ٠
- باز ، رستم
  مذكرات رستم باز ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٥٥م ٠
- البستاني ، بطرس
  خطبة في اداب العرب ، بيروت (لا ٠ ت)
- البستاني ، عبدالله
  عرفان الجميل لصاحب اليوبيل ، مطبعة جريدة المصباح ، بيروت ، ١٨٩٧ م ٠
- القس عمنوئيل البعبداتي
  تاريخ الرهبانية الانطونية ، ١٨٩٦م ٠
- بريك ، ميخائيل
  تاريخ الشام ١٧٢٠ — ١٧٨٢ (علق عليه ونشره الخوري قسطنطين الباشا) حريصا ، ١٩٣٠م ٠

- بولياك ، ا ٠ن ٠
  الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان (تعريب عاطف كرم) منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، بيروت ، ١٩٤٨م ٠
- بيهم ، محمد جميل
  المرأة في التاريخ والشرائع ، بيروت ، ١٩٢١م ٠
- الجبرتي ، عبد الرحمن
  عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، ٤ ج ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، ١٣٢٢هـ٠
- حاجي خليفة ، مصطفى ابن عبدالله
  كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، استانبول (لا ٠ت)
- الحتوني ، منصور
  نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية (نشره يوسف ابراهيم يزبك) ١٩٥٦م ٠
- حتي ، فيليب
  تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (ترجمة كمال يازجي) دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩م ٠
- حتي ، فيليب
  لبنان في التاريخ (تعريب انيس فريحة) دار فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٩م ٠
- الحصري ، ساطع
  البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٠م ٠
- الحكيم ، يوسف
  بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت (لا ٠ت) ٠
- الحكيم ، يوسف
  سورية والعهد العثماني ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت (لا ٠ت) ٠

– الخازن ، فيليب قعدان

لمحة تاريخية في استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح العثماني سنة ١٥١٦ ، مطبعة الاخبار ، مصر ، ١٩١٠ .

– الخوري ، شاكر

مجمع المسرات ، مطبعة الاجتهاد ، بيروت ، ١٩٠٨م .

– داغر ، يوسف

بطاركة الموارنة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٧م .

– داود ، اقليمس

جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة ، ١٨٧٢م .

– الدبس ، يوسف

تاريخ سورية ، ٨ ج ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٨٨٤ – ١٩٠٥ .

– الدبس ، يوسف

الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٩٠٥م .

– الدبس ، يوسف

روح الردود ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٩٠٥م .

– الدبس ، يوسف

مواعظ سيادة المطران يوسف الدبس ، المطبعة العمومية ، بيروت ، ١٨٧٤م .

– دريان ، يوسف

نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان من قديم الدهر حتى الان ، مطبعة الاخبار ، مصر ، ١٩١٦م .

– الدمشقي ، ميخائيل

تاريخ حوادث الشام ولبنان ١٨٧٢ – ١٨٤١ ، بيروت ، ١٩١٢م .

- الدويهي ، اسطفان
  تاريخ الازمنة (نشره وعلق عليه الاب ف٠ توتل) بيروت ، ١٩٥٠م٠

- الدويهي ، اسطفان
  تاريخ الطائفة المارونية (نشره رشيد الخوري الشرتوني) المطبعة الكاثوليكية ،
  بيروت ، ١٨٩٠م٠

- الدويهي ، اسطفان
  سلسلة بطاركة الطائفة المارونية (نشره وعلق على حواشيه رشيد الخوري الشرتوني)
  المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠١م٠

- الديراني ، افرام
  كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم ، ١٨٩٩م٠

- ريستلهوبر
  تقاليد فرنسا في لبنان (تعريب القس بولس عبود) مطبعة القديس بولس حريصا ،
  لبنان ، ١٩٢١م٠

- رستم ، اسد
  بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤ — ١٨٤١ ، منشورات الجامعة اللبنانية ،
  بيروت ، ١٩٥٦م٠

- زريق ، قسطنطين
  الوعي القومي ، منشورات دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٤٠ ٠

- الزين ، عارف
  تاريخ صيدا ، صيدا ، ١٩١٣م٠

- سركيس ، سليم
  سر مملكة ، مصر ، ١٩٠٥ ٠

- السمعاني ، اسطفانوس عواد
  فهرست المكتبة الشرقية ، روما ، ١٧١٩م٠

- الشدياق ، طنوس
  اخبار الاعيان في جبل لبنان ، بيروت ، ١٨٥٩م .
- الشرقاوي ، عبد الله
  تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين ، القاهرة (لا . ت) .
- الشهابي ، حيدر
  لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، ج ٣ (نشره اسد رستم وفؤاد البستاني) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣م .
- شيخو ، لويس
  الاداب العربية في القرن التاسع عشر ، ٢ ج ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٦م .
- شيخو ، لويس
  بيروت تاريخها واثارها ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٥م .
- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير
  تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٣٦ هـ .
- طرازي ، فيليب
  اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان ، بيروت (لا . ت) .
- طرازي ، فيليب
  تاريخ الصحافة العربية ، ج ١ ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩١٣م .
- العقيقي ، انطون
  ثورة وفتنة في لبنان (نشره وعلق على حواشيه يوسف ابراهيم يزبك) دمشق ، ١٩٣٨م .
- العنيسي ، طوبيا
  سلسلة تاريخية لبطاركة انطاكية المارونية ، روما ، ١٩٢٧م .

- العورة ، ابراهيم

تاريخ ولاية سليمان باشا العادل (نشره الخورى قسطنطين الباشا) مطبعة دير المخلص، ١٩٣٦م .

- العينطوريني ، انطونيوس ابي خطار

مختصر تاريخ جبل لبنان (نشره اغناطيوس الخورى) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٣م .

- غانم ، يوسف

برنامج اخوية القديس مارون ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٣م .

- غبرئيل ، ميخائيل

تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية ، المطبعة اللبنانية ، بعبدا ، ١٩٠٤م .

- فان ديك ، ادوارد

اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من اشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية (صححه وزاد عليه محمد علي الببلاوى) ادارة الهلال ، القاهرة ، ١٨٩٦م .

- فريد ، محمد

تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مطبعة محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٨٩٦م .

- قرألي ، بولس

الموارنة في لبنان اقدميتهم واسرهم ، مطبعة المرسلين اللبنانية ، جونيه ، ١٩٤٩م .

- القرماني ، ابو العباس احمد بن يوسف

اخبار الدول وآثار الاول ، بغداد ، ١٢٨٢هـ .

- ابن القلاعي ، جبرائيل

حروب المقدمين ١٠٧٥ ـ ١٤٥٠ (نشره بولس قرألي) بيت شباب ، ١٩٣٧م .

— كتفاكو ، انطون

فتوحات ابراهيم باشا المصرى في فلسطين ولبنان وسوريا (تعريب الخورى بولس قرألي) بيت شباب ، ١٩٣٧م ٠

— كرامة ، روفائيل

مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسوريا من سنة ١٧٤٥ — ١٨٠٠ (نشره المطران باسيليوس قطان) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٢٩م ٠

— الكواكبي ، عبد الرحمن

ام القرى ، القاهرة ، ١٩٣١م ٠

— الكواكبي ، عبد الرحمن

طبائع الاستبداد ، حلب ، ١٩٥٧م ٠

— فرنسيس ، مراش

غابة الحق ، بيروت ، ١٨٨١م ٠

— مطر ، الياس

العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية ، بيروت ، ١٨٧٤م ٠

— مطران ، ندره

سوريا الغد ، باريس ، ١٩١٦م ٠

— مظلوم ، مكسيموس

نبذة تاريخية فيما جرى لطائفة الروم الكاثوليك منذ سنة ١٨٧٣ فما بعدها ، (نشره الخورى قسطنطين الباشا) ، (لا ٠ت) ٠

— المقدسي ، انيس

العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث ، الحلقة الاولى ، منشورات كلية العلوم والاداب في الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ، ١٩٥٢ م ٠

- المقريزى ، ابو العباس احمد بن علي
  كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٦ ج ، حققه محمد مصطفى زياده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٤ — ١٩٤٢م٠
- مؤلف مجهول ،
  حسر اللثام عن نكبات الشام ، مصر ، ١٨٩٥م٠
- اليازجي ، كمال
  رواد النهضة الحديثة في لبنان الحديث ١٨٠٠ — ١٩٠٠ ، مكتبة راس بيروت ، ١٩٦٢م٠
- يزبك ، يوسف
  داود عمون ، منشورات اوراق لبنانية ، بيروت ، ١٩٦٢ ٠
- اليسوعي مرتين ،
  تاريخ لبنان (ترجمة رشيد الخوري الشرتوني) مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٨٩م٠
- يني ، جرجي
  تاريخ سوريا ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٨٨١م٠

المقالات :

- ابو شقرا ، ن٠ن٠
  " شوبدنا بهدين الاكحل " ، اوراق لبنانية ، ج ٢ (تشرين ثاني ١٩٥٦) ص ٥٠٠ — ٥٠١ ٠
- الخوري ، اغناطيوس
  " حكام جبل لبنان على الحقيقة لا دروز ولا موارنة " ، اوراق لبنانية ، ج ١ ، (تشرين اول ١٩٥٦) ص ٣٢٢ — ٣٢٣ ٠

— حداد ، جورج

"مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي خلال المائة سنة الاخيرة " ، الابحاث ، ج ١٢ (حزيران ١٩٥٩) ص١٥٦ — ١٥٧ .

— صليبي ، كمال

"تعريف تاريخي بلبنان " ، الابحاث ، ج ٣ (ايلول ١٩٦٢) ص٣٦٨ .

— فارس ، نبيه

"اميركا والنهضة العربية الحديثة " ، الابحاث ، ج ١١ (ايلول ١٩٥٨) ، ص٣٩١ — ٣٩٢ .

— البستاني ، سليم

"دائرة المعارف " ، ج ٧ ، بيروت ، ١٨٨٣ ، ص٦٢٤ — ٦٢٥ .

— "لسان الحال " ، عدد ٥٧٥٦ (١٠ تموز ١٩٠٨) .

— "لسان الحال " ، عدد ٥٧٦١ (١٥ تموز ١٩٠٨) .

— "لسان الحال " ، عدد ٥٧٦٣ (١٧ تموز ١٩٠٨) .

— "لسان الحال " ، عدد ٥٧٧٣ (٢٧ تموز ١٩٠٨) .

— "لسان الحال " ، عدد ٥٧٧٦ (٣٠ تموز ١٩٠٨) .

— "لسان الحال " ، عدد ٥٧٧٨ (١ آب ١٩٠٨) .

— "لسان الحال " ، عدد ٥٩٣٢ (٢٨ و ٢٩ نيسان ١٩٠٩) .

— الدويهي ، اسطفان

"تاريخ الازمنة " ، المشرق ، ج ٤٤ ، ص١٦٠ — ١٦٤ .

— الدحداح ، سليم خطار

"الابرشيات المارونية وسلسلة اساقفتها " ، المشرق ، ج ٤ (١٩٠٤) .

— توتل ، ف .

"البطريرك اسطفان الدويهي وتاريخ الازمنة " ، المشرق ، ج ٤٣ (١٩٤٣) ، ص١٤ و ١٥ و ١٦ .

— "نوابغ المدرسة المارونية الاولى "، المشرق ، ج ٢٢ (١٩٢٤) ص١١٧ و ٣٤١ و ٤٣٨ و ٥٨٦ و ٧٠٨ ·

— شيخو ، لويس

"تاريخ فن الطباعة في المشرق"، المشرق ، ج ٣ (١٩٠٠) ص٣١٩ — ٣٢٠ و ٥٠٢ — ٥٠٣ ·

— البستاني ، فؤاد افرام

"الحياة العقلية في لبنان قبل مائة عام"، المشرق ، ج ٢٧ (١٩٢٩) ص٢٧٩ و ٣٦٧ ·

— سركيس ، يوسف اليان

"الجمعية المشرقية في بيروت "، المشرق ، ج ١٢ (١٩٠٩) ص٣٦ ·

— حرفوش ، ابراهيم

"المنارة" (١٩٣١) عدد ٢ ، ص٧٤٨ — ٥٨ ، ٨٠٥ — ١٣ ، ٩٠١ — ٧ ، "المنارة" (١٩٣١) عدد ٣ ، ص٩٩ — ١٠٦ ، ١٧٦ — ٨٣ ، ٢٦٠ — ٣ ·

— "ملحق النهار" عدد ٩٤٧٦ (١٩٦٦) ص١٣ ·

— زيدان ، جرجي

"المطران يوسف الدبس"، الهلال ، ج ١٦ (اكتوبر ١٩٠٧) ص١٦٥ — ١٦٦ ·

— " هل السوريون عرب "، الهلال ، ج ١٧ (١٩٠٩) ص٤٢٥ — ٤٣٠ ·

المخطوطات :

— الخورى ، الاب اغناطيوس

"تاريخ المطران يوسف الدبس"، وثائق منقولة عن اصولها المحفوظة في خزانة المرحوم الخورى اسطفان البشعلاني ·

الوثائق :

— اليوبيل الذهبي لمدرسة الحكمة ، معهد الحكمة ، بيروت (لا · ت) ·

المصادر والمراجع الاجنبية :

- Ahmed , J. M. ,
The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism , Oxford University Press , London , 1960 .

- Al - Husry , Khaldun ,
Three Reformers A Study in Modern Arab Political Thought, Khayat , Beirut , 1966 .

- Antonius , George ,
The Arab Awakening , Khayat's College Book Coperative , Beirut , 1955 .

- Azoury , N. ,
Le Reveil de la Nation Arabe , Paris , 1905 .

- Bliss, Daniel ,
The Reminiscences of Daniel Bliss , Fleming H. Revell Company , New York , 1920 .

- Churchill , C.C.B.,
The Druze and the Maronites under the Turkish Rule 1840-1860 , Quartich , London , 1862 .

- Ganem , H. ,
Les Sultans Ottoman , 2 Vol. Paris , 1901 .

- Al - Ghaziri , Bernard ,
Rome et L'Eglise Syrienne Maronite 517 - 1531 , Imprem - eire des Belles Lettres , Beyrouth , 1906 .

- Graf , George ,
Geschichte Der Christbichen Arabischen Literature, Vol . III . , Vatican City , 1949.

- Haddad , George ,

  Revolution and Military Rule in the Middle East , Robert Speller and Sons , N.Y. , 1965 .

- Jessup , H.H. ,

  Fifty - Three Years in Syria , Vol. I . , Fleming H. Revell Company , London , 1910 .

- Jouplain , M. ,

  La Question du Liban , Libraire Nouvelle , Paris , 1908 .

- Khairallah , K. T. ,

  Les Regions Arabes Liberees , Paris , 1919 .

- Khairallah , K. ,

  La Syrie , Paris , 1912 .

- Kohn, Hans ,

  History of Nationalism in the East , George Rentledge and Sons , London , 1929.

- Lammens , H. ,

  L'Islam , Imp. Catholique , Beyrouth , 1941 .

- Lammens , H. ,

  La Syrie Precis Historique , Vol. I. , Imprimerie Cathol - ique , Beyrouth , 1921 .

- Lewis , Bernard ,

  The Emergence of Modern Turkey , Oxford University Press , London , 1962 .

- Historians of the Middle East , ed. Bernard Lewis and P. M. Holt , Oxford University Press , London , 1962 .

- Mariott , A. R. ,
  The Eastern Question , Oxford University Press , London , 1956 .
- Perrier , F. ,
  La Syrie Sous le Government de Mehmet Ali Jusqu'en 1840 , Arthur Bertrand , Paris ,
- Polk, R. William ,
  The Opening of South Lebanon , 1788 - 1840 , Harvard University Press , Cambridge , Massachusetts , 1963.
- Saab , Hassan ,
  The Arab Federaliste of the Ottoman Empire , Djambatan - Amsterdam , 1958 .
- Salibi , K. ,
  Maronite Historians of Medieval Lebanon , A.U.B. , Beirut , 1956 .
- Salibi , K. ,
  The Modern History of Lebanon , Weidenfeld and Niclson , London , 1965 .
- Samne , George ,
  La Syrie , Paris , 1920 .
- Tyan , Ferdinand ,
  France et Liban , Libraire Academique , Paris , 191? .
- William of Tyre ,
  History of Deeds Done Beyond the Sea , (Trans. by E,A, Babcook) Vol. I . , New York , 1943 .
- Urquhart , D. ,
  The Lebanon , Vol. I. , Thomas Cantley Newly , London , 1860 .

- Volney , N. C . F. ,

Travels Through Syria and Egypt , (Trans,) Vol. II. , London , (N.D).

- Zeine , N. Zeine ,

Arab - Turkish Relations and the Emergence of Arab Nation - alism , Khayat , Beirut , 1958 .

- Sauvgent , J. ,

Introdution a ' L'histoire de L'orient Musulman Elements de Bibliographie , Paris , 1946 .

المقالات :

- Salibi , K. ,

" The Maronite Church in the Middle Ages and its Union with Rome " , Oriens Christianus , Vol. 42 , (1958) , P.P. 92 - 104 .